مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٢٢ - السنة السادسة والثلاثون - صفر ١٤٢٨هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
تركيا
سوريا
إيران
الأردن
المملكة العربية السعودية
الشيعة والرافضة
الطعن في القرآن
إعلان توبة .. وتبرئة ذمة
حتى لا يقع الالتباس على كثير من الناس

السنة السادسة والثلاثون

العدد ٤٢٢ صفـــر ١٤٢٨هـ

صورة الغلاف



السلام عليكم

اتباع الشهوات يُعمي ويُصم
[قصة الإسرائيلي والعصفورة]

ظفر رجل بامرأة فأراد أن يُدخلها بيته ليغتصبها، فثبّت الله قلبها حتى قالت له: كان يَحْسُن أن يكون معنا في خلوتنا شيء نأكله، فأعمى الله بصيرته وتركها مسرعًا وهو يقول: الآن آتيك بكل ما تشتهين، فرجع فوجدها قد أَفْلَتَتْ وهربت فاحترق قلبه حسرة.

قال الشعبي: صاد رجل من بني إسرائيل عصفورة فقالت له: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحكِ فآكلك! قالت: والله ما أَشْفي من قَرَم (شدة اشتهاء اللحم) ولا أُغْني من جُوع، ولكني أعَلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي: أما الأولى فأعلمك إياها وأنا في يَدِكَ، والثانية إذا صرتُ على هذه الشجرة، والثالثة إذا صرت على الجبل. فقال: هاتِ الأولى: قالت: لا تتلهفن على ما فاتك. فخلَّى عنها؛ فلما صارت فوق الشجرة قال: هات الثانية. قالت: لا تُصَدِّقَن بما لا يكونُ أنه يكونُ. ثم طارت فصارت على الجبل، فقالت: يا شقيُّ! لو ذبحتني لأخرجتَ من حَوْصَلَتي دُرّة فيها زنة عشرين مثقالاً. قال: فعضّ على شفتيه وتلهّف ثم قال: هات الثالثة. قالت له: أنت قد نسيت الاثنتين، فكيف أعلّمك الثالثة؟ ألم أقل لك لا تتلهفنّ على ما فاتك؟ فقد تلهفت عليّ إذ فُتُّك، وقلت لك: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون! فصدقت! أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالاً، فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها؟

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة

د. جمال المراكبي

المشرف العام

د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية

د. عبد العظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

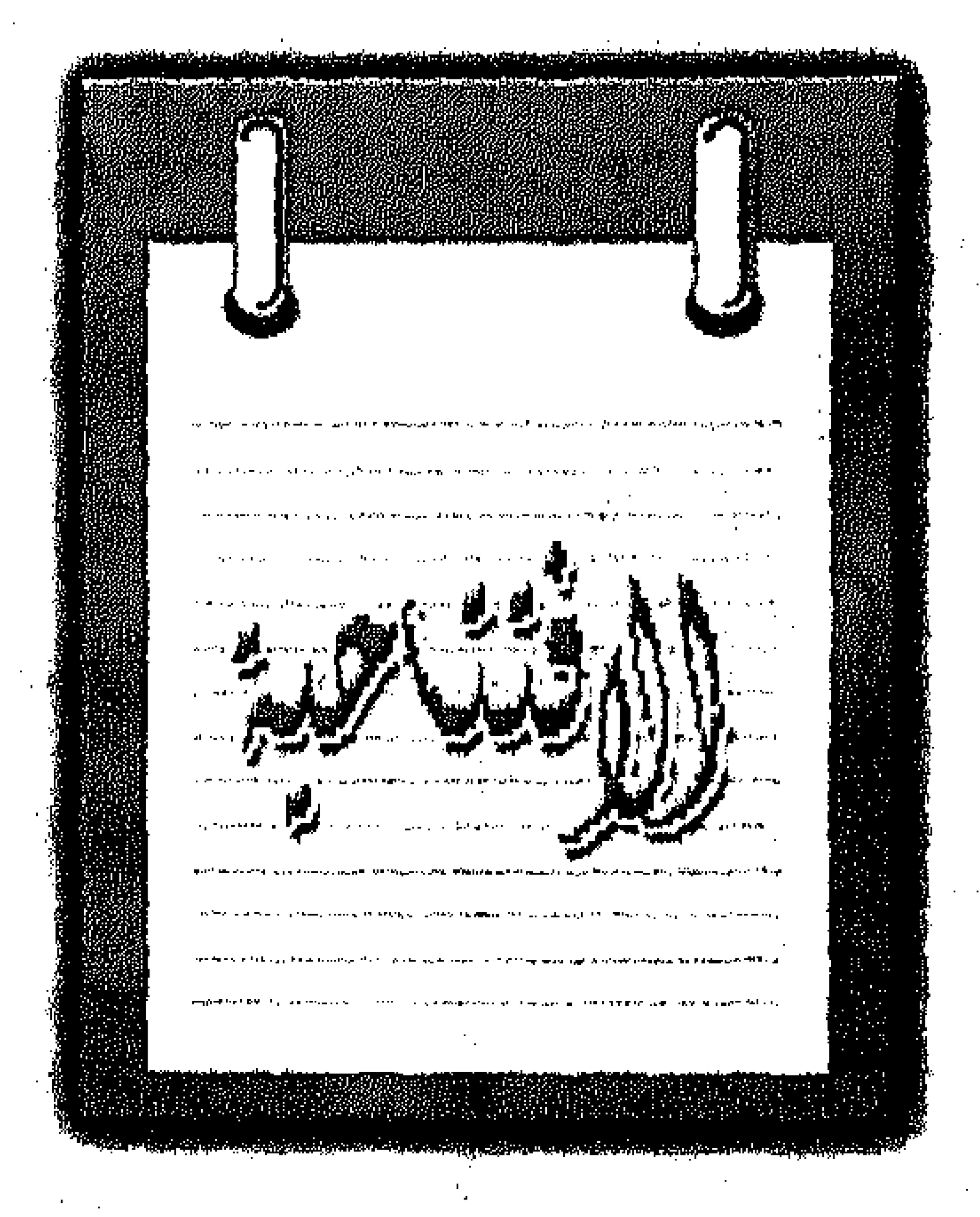
ثمن النسخة
مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.

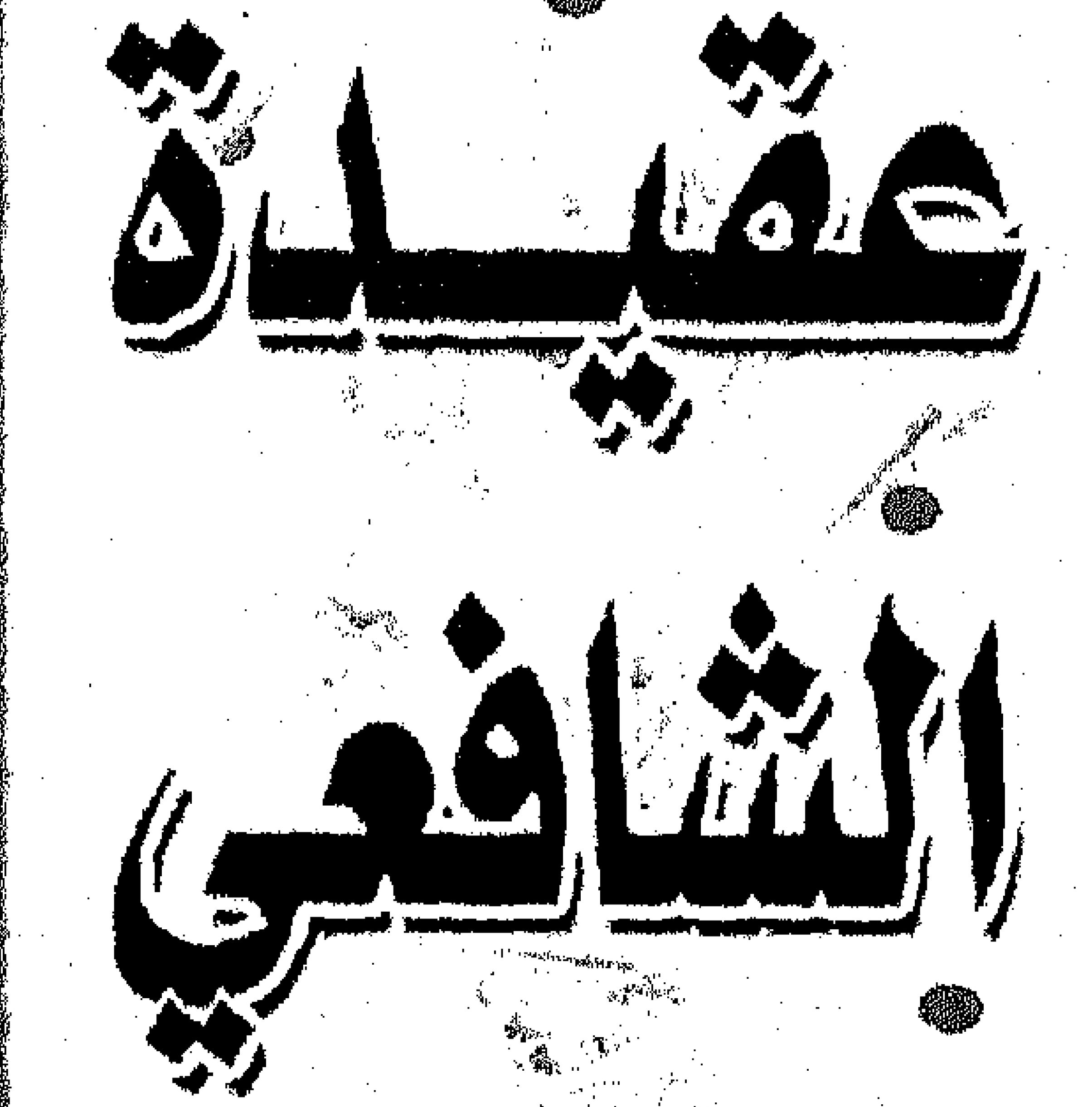
الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني
المجلة
Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير
Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات
See2070@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت
www.altawhed.com
موقع المركز العام
www.ELsonna.com

التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية
قليوب - مصر





إعداد
د. جمال المراكبي
الرئيس العام

WWW.ELMARAKBY.COM

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد سبق أن تكلمنا عن أصول السنة والعقائد المتفق عليها عند أئمة أعلام الأمة، وسيراً على هذا النهج نتكلم عن عقائد بعض أعيان العلماء، ونبدأ في هذا اللقاء بالحديث عن عقيدة الإمام الشافعي.

محمد بن إدريس الشافعي إمام جليل عظيم القدر، قال عنه الذهبي: الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب. وقال عنه الخطيب البغدادي: الإمام زين الفقهاء وتاج العلماء.

أثر الشافعي في الأمة

وقد صنف العلماء في مناقبه المصنفات، وأثر الشافعي في الأمة عظيم، فهو مجدد القرن الثاني بعد عمر بن عبد العزيز، وهو الذي نصر السنة والحديث، وأول من صنف في أصول الفقه وانتشرت أقواله في ربوع الأرض وكثر مادحوه وصار للمذهب الشافعي مدرسة من أكبر المدارس الفقهية إلى يومنا هذا.

وكان الشافعي فقيهاً أديباً شاعراً حسن العشرة، اختلف ذات يوم مع أحد جلسائه في مسألة ثم انفض المجلس فإذا به يأتي دار صاحبه ويقرع بابه ليقول له: ألا يسعنا أن نكون إخواناً وإن اختلفنا في مسألة ؟

وعاتب مرةً صديقاً بلغه عنه شيء فكتب إليه:

اذهب فإنك من ودادي طالقٌ
لا طالقٌ مني طلاق البينِ
فإن ارعويت فإنها تطليقةٌ
ويُقيم وُدُّكَ لي على ثنتينِ
وإن اعوججت شفعتُها بمثالها
فيكون تطليقين في قُرءَيْنِ
وإن الثلاث أتتك مني بَتَّةً
لم يُغنِ عنك شفاعةُ الثقلينِ

وليس مرادي أن أترجم للإمام الشافعي فتراجمه كثيرة، ولكن مرادي أن أتحدث عن عقيدته لأن الناس يتحدثون عن مذهبه الفقهي فيكثرون، ولا أرى أحداً من الشافعية يتحدث عن معتقد هذا الإمام، بل إن اللافت للنظر أن أكثر الشافعية يعلنون دائماً أبداً أنهم في باب العقائد أشاعرة، فينتسبون للشافعي في فروع الدين، وينتسبون للأشعري في أصول الدين وهذا يجعل الباحث في حيرة، ويثير عديداً من التساؤلات هل كان الشافعي أشعريًا؟؟

هذا محال لأن الأشعري كان بعد وفاة الشافعي، فهل كان الشافعي إماماً في الفقه، ولم يكن إماماً في أصول الدين، وما هو المنقول عن هذا الإمام في باب العقيدة ؟ ويجد الباحث صعوبة في تحرير هذه المسألة.

تعرض الشافعي في حياته للهمز والطعن

لقد تعرض الشافعي في حياته للهمز والطعن في

عقيدته، وتعرض لشكاية ظالمة حُمل بسببها إلى الخليفة العباسي فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وعند الناس وجيهاً، ونسبه بعض النواصب للرافضة ظلماً وزوراً لأنه يعلن حبه لآل بيت رسول الله ﷺ فقال في ذلك:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمد
فليشهد الثقلانِ أني رافضي

تعرض بعض متعصبي الحنفية للشافعي

قال ابن كثير: ليس برفض حب آل محمد، وكان أهل السنة يحبون محمداً ﷺ وآله ويجب عليهم ذلك كما يجب عليهم حب أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

وتعرض للشافعي بعض متعصبي الحنفية فوضع حديثاً في فضل أبي حنيفة وذم الشافعي ونسبه إلى رسول الله ﷺ كذباً فقال: سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي، وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس فتنته على أمتي أضر من فتنة إبليس.

[ذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد]

ورد بعض متعصبي الشافعية بمثل ذلك، ومما يروى في هذا قول بعضهم:

مثل الشافعي في العلماء
مثل البدر في نجوم السماء

قل لمن قاسه بنعمان جهلاً
أيُقاس الضياءُ بالظلماء

الشافعي لم يكتب عقيدته

وإذا كان الشافعية لم ينقلوا لنا معتقداً منسوباً إلى الشافعي كما نُقل عن أحمد بن حنبل معتقده، فهذا لأن الشافعي لم يكتب عقيدته، وما كان العلماء يكتبون عقائدهم إلا بعد ظهور فتنة المعتزلة الجهمية، وحملهم الناس على البدعة والقول بخلق القرآن، وثبات إمام أهل السنة في وجه هذه البدعة حتى رد الله كيدهم في نحورهم فكتب علماء السنة محذرين من عقائد المبتدعة مبينين للناس المعتقد الحق الموافق للسنة.

وقد نُقل عن الشافعي مسائل متفرقة في العقيدة تدل على عقيدته ومذهبه منقولة في تراجمه.

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجلين اختلفا في الاعْتِقَاد. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَنْ لاَ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاءِ فَهُوَ ضَالٌّ. وَقَالَ الآخَرُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لاَ يَنْحَصِرُ فِي مَكَانٍ وَهُمَا شَافِعِيَانِ فَبَيِّنُوا لَنَا مَا نَتَّبِعُ مِنْ عَقِيدَةِ «الشَّافِعِيِّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا الصَّوَابُ فِي ذَلِكَ ؟

معتقد الشافعي لا يختلف عن معتقد سلف الأمة

فأجاب: الحَمْدُ لِلَّهِ اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هوَ اعْتِقَادُ «سَلَفِ الإِسْلاَم» كَمَالِكٍ وَالثَّوْرِيِّ والأوزاعي وَابْنِ المُبَارَكِ وَأَحْمَدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ راهويه ؛ وَهُوَ اعْتِقَادُ المَشَايِخِ المُقْتَدَى بِهِمْ كالفضيل بْنِ عِيَاضٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِي وَسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التستري وَغَيْرِهِمْ. فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الأَئِمَّةِ وَأَمْثَالِهِمْ نِزَاعٌ فِي أُصُولِ الدِّينِ. وَكَذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ- رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- فَإِنَّ الاعْتِقَادَ الثَّابِتَ عَنْهُ فِي التَّوْحِيدِ وَالقَدَرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مُوَافِقٌ لاعْتِقَادِ هَؤُلاَءِ وَاعْتِقَادُ هَؤُلاَءِ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهُوَ مَا نَطَقَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ. قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي أَوَّلِ خُطْبَةِ «الرِّسَالَةِ»: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ خَلْقُهُ. فَبَيَّنَ- رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ .اهـ

وذكر رحمه الله في القصيدة المنسوبة إليه في السُّنة قوله:

هذا اعتقادُ الشافعيِّ ومالكٍ
وأبي حنيفة ثم أحمد يُنْقَلُ

فإن اتبعتَ سبيلَهم فموفقٌ
وإن ابتدعت فما عليك مُعَوَّلُ

وقد صنف بعض الفضلاء في عقيدة الشافعي مصنفات لم تُنقل إلينا وقد جاء في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ أن له مصنفاً بعنوان عقيدة الشافعي.

[ذيل طبقات الحنابلة]

وذكر الذهبي في ترجمة الشافعي أن الهكاري له كتاب في عقيدة الشافعي روى فيه بإسناده

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: وقد سُئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته، لا يسع أحداً قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر، ولا نكفر بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفاه عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

[سير أعلام النبلاء جـ١٠ صـ٧٩-٨٠]

وما نقله ابن تيمية وابن القيم والهكاري يدل على أن معتقد الشافعي في الأسماء والصفات لم يكن يختلف عن عقيدة إخوانه من العلماء المتبعين للأثر، خاصة وأن الشافعي كان معروفاً بنصرته للسنة وحرصه على اتباع الأثر حتى قال عنه أحمد بن حنبل: ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي.

وسوف أنقل لك- حفظك الله- طرفاً من أقوال الشافعي في مسائل الإيمان والقدر والقول في القرآن والقول في الصحابة وغيرها من المسائل ليتبين لك أن معتقد الشافعي هو معتقد أهل السنة والجماعة المتبعين للأثر، المنكرين على المتكلمين والفلاسفة ما ابتدعوه في أصول الدين.

أقوال الشافعي في الإيمان

قال السبكي في طبقات الشافعية جـ١ صـ١٣٠: وإلى مذهب السلف ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد والبخاري وطوائف من الأئمة المتقدمين والمتأخرين. أهـ

ومذهب السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان خلافاً للمرجئة.

وقد نقل البيهقي وابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

والمنقول عن الشافعي في هذا الباب يطول ذكره

والعجيب أن السبكي نقل في طبقاته أن أبا حنيفة والأشعري خالفا في هذه المسألة وقالا: الإيمان هو التصديق، وأن المشهور من مذهب الأشعري أنه لا يقبل الزيادة والنقص، وذكر عدداً ممن خالف من الأشاعرة الذين وافقوا السلف، ومع ذلك فقد حاول الانتصار لرأي الأشعري وترجيحه، ثم حاول رفع الخلاف في المسألة زاعما أنه خلاف لفظي.

٢- قوله في القدر:

سُئل الشافعي عن القدر فقال:

مــــا شـــئتَ كـــان وإن لم أشـــأْ ... ومـــا شئتُ إن لم تشـــأ لم يكن

خلقت العبـــاد علـــى مـــا علمتَ ... ففـي العلـم يجـري الفتـى والمسن

علـى ذا مننـتَ، وهـذا خـذلتَ ... وهـذا أعنـتَ وذا لـم تُعـن

فـمنهم شقيٌ ومنهم سعيدٌ ... ومنهم قبيـحٌ ومنهم حسن

[مناقب الشافعي للبيهقي - وشرح أصول اعتقاد أهل السنة]

وقال رحمه الله: مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن العباد لم يخلقوا أعمالهم، وإنَّ القدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق، ومسألة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن. [مناقب الشافعي]

وقال: القدرية الذين قال رسول الله ﷺ: «هم مجوس هذه الأمة» الذين يقولون إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون. [مناقب الشافعي]

قول الشافعي في القرآن

قال رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. [شرح أصول اعتقاد أهل السنة]

وذكر عنده رجل من الجهمية فقال: أنا مخالف له في كل شيء وفي قوله لا إله إلا الله، أنا

أقول: لا إله إلا الذي كلم موسى تكليماً من وراء حجاب وهو ويقول: لا إله إلا الذي خلق كلاماً أسمعه موسى من وراء حجاب. [ابن عبد البر، والبيهقي]

قول الشافعي في الصحابة

قال رحمه الله: أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهناهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل وآراؤهم لنا أحمد وأولى من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم.

وأخرج البيهقي عن ربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول في التفضيل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الله بن الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي .؟

ومن شعره في الصحابة ما رواه صاحب المناقب وصاحب الطبقات عن المزني:

شهدت بأن الله لا ربَّ غيرُهُ ... وما لسفيه لا يُجابُ فيُخْرَصُ
وأن عُرى الإيمان قولٌ مُبَيَّنٌ ... لحا الله من إياهمُ يتنقّصُ
وأن أبا بكرٍ خليفةُ أحمدٍ ... وأن عليّاً فضلُهُ متخصصُ
وأُشهدُ ربي أن عثمانَ فاضلٌ ... وكان أبو حفصٍ على الخيرِ يحرصُ
أئمةُ قومٍ يُهتدى بهداهمُ ... وفعلٍ زكي قد يزيدُ وينقصُ
فما لغواةٍ يشتمونَ سفاهةً ... وأشهدُ أن البعثَ حقٌ وأخلَصُ

قوله في الرؤية

قال الشافعي: في كتاب الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته. وفي رواية: دلالة على أن أولياءه يرونه يوم القيامة بأبصارهم. [الإبانة جـ٣ صـ٥٩ - الاعتقاد للبيهقي صـ ٦٣ - اللالكائي شرح أصول الاعتقاد حـ ٨٨٣ - وابن كثير في ترجمة الشافعي]

قوله في ما ورد في الحديث من صفات الله عز وجل

عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: ما صح أن رسول الله ﷺ قاله فلا يقال له لِمَ وكيف. [الإبانة جـ٣ صـ٢٠٣ الرد على الجهمية]

وعن الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي رحمه الله: وليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها بفرض الله عز وجل والمسألة بكيف في شيء قد ثبتت فيه السنة لا يسع عالماً.

قوله في أهل البدع وأصحاب الكلام

قال الشافعي: ما رأيت أحداً ارتدى شيئاً من الكلام فأفلح.

وقال: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتاباً كبيراً لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إلي منه شيء.

وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البوطي قال: سألت الشافعي أأصلي خلف الرافضي ؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجيء، قلت: صفهم لنا، قال: من قال:الإيمان قول فهو مرجيء، ومن قال إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري.

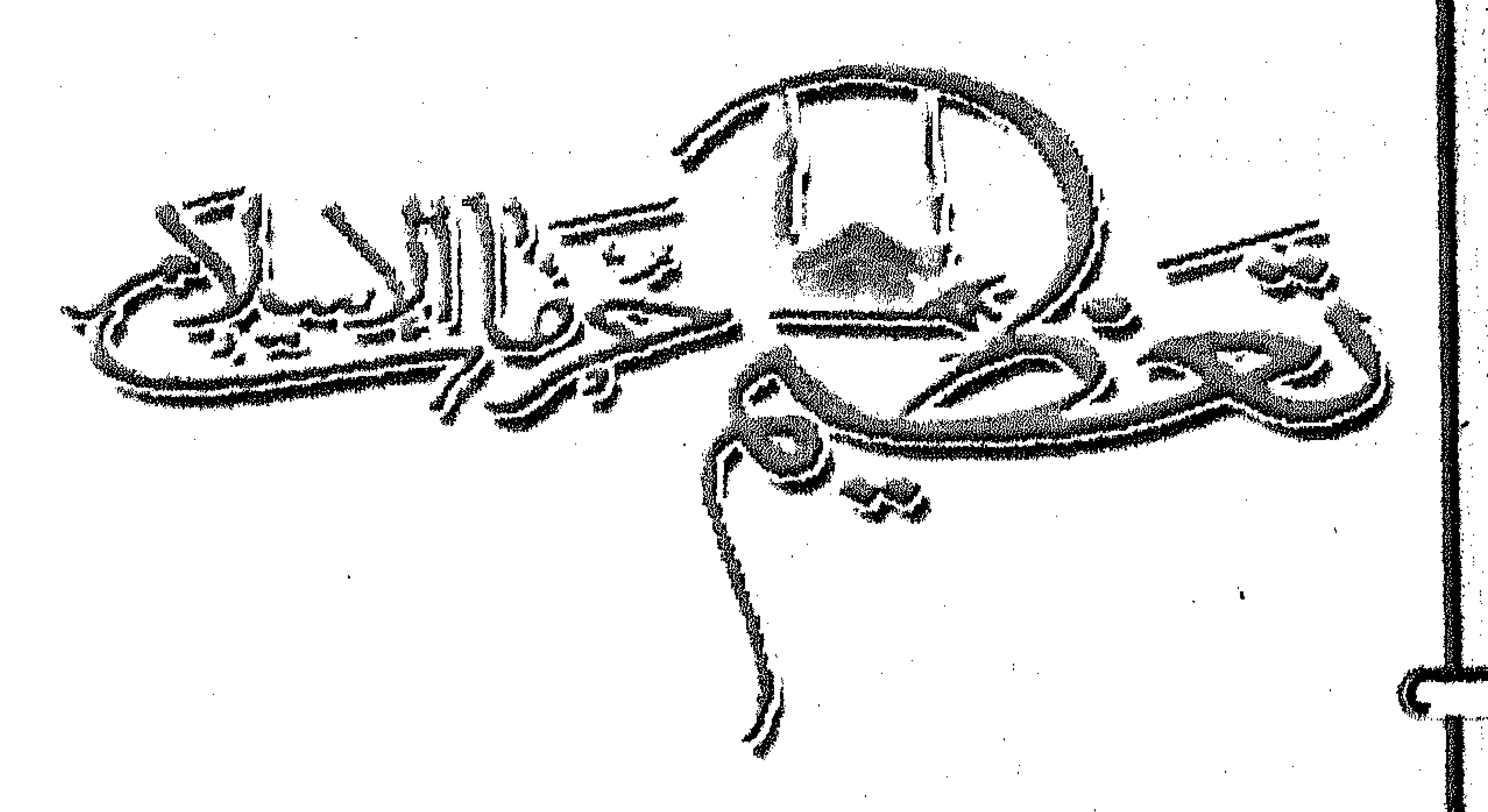
وبعد.. فهذه نبذ مختصرة من أقوال الشافعي حررها من نقل مذهبه وكتب في فضائله، فهل يقال بعد ذلك إلا أن الشافعي كان كسابقيه من أئمة السلف وعلى معتقدهم؟ وهل يُقبل من أحد بعد ذلك أن يقول أنا شافعي المذهب أشعري المعتقد ؟!

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

بقلم رئيس التحرير

جمال سعد حاتم



تعظيم حرمات الإسلام

الحمد لله معز الطائعين، ومذل العاصين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، إمام المجاهدين، وسيد ولد آدم يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد:

بينما ينادي علماء الأمة بضرورة تعظيم حرمات الإسلام... نجد أن مقدسات الإسلام والمسلمين تنتهك على مرأى ومسمع من العالم كله، وكأن قوى الشر قد اجتمعت على الإسلام والمسلمين؛ مما يذكرنا بحديث رسولنا الأمين عن أمة الإسلام- عندما تتخلى عن شرع ربها-: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها...».

وما كان التداعي على أمة الإسلام... أمة القرآن... إلا نتاجا لما أصابنا من هوان وذلة، فها هي الشعوب قد استسلمت والحكومات كذلك، وهان الأخ على أخيه، ناسين، أو متناسين أخوة الإسلام، أخوة الدين والعقيدة!!

الأشقاء الفلسطينيون.. والصراع من أجل السلطة

يقول رسولنا الصادق الأمين ﷺ: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستصير ندامة وحسرة يوم القيامة فبئست المرضعة ونعمت الفاطمة».

[أخرجه البخاري ٩/٧٩]

فها هم الأشقاء في فلسطين يقدمون للصهاينة أغلى أمانيهم، ناسين أو متناسين تعاليم الإسلام الراقية، ذاهلين عن حديث خير البشرية رسول الإنسانية ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»..

حرمات الإسلام تنتهك... والمؤامرة الصهيونية على الأقصى مستمرة، فهي ليست بجديدة، لكنها وصلت إلى درجة التحدي، فالأنفاق تقام... وعمليات الهدم التي يقوم بها الصهاينة برواق المغاربة تحت مسميات واهية؛ الهدف منها تخريب المسجد الأقصى لتحقيق الهدف اليهودي الخبيث لهدم وتقويض المسجد وتدميره، بزعم أنه أقيم على هيكل سليمان «المعبد اليهودي القديم».

تنتهك حرمات الإسلام في بقاع كثيرة من أرض الله عز وجل، وما تشهده الساحة الإسلامية اليوم يسرّ العدو ويحزن الصديق، وما كان للأعداء أن يتجرءوا لولا حالة الضعف التي أصابت الأمة، فها نحن قد أصبحنا طلاب دنيا إلا من رحم الله، عافانا الله بفضله.

والأقصى المستهان

إن نجاح العدو في استثمار الخلاف والفرقة ليس لشدة ذكائه وعظم دهائه فحسب، ولكن لتقصير الأمة، وقد يكون لعظم غفلتها.

انتهاك حرمات المسلمين

إن ما يحدث في الصومال ومن قبله في لبنان والسودان وأفغانستان، وحمامات الدم في العراق لهو دلالة على انتهاك حرمات الإسلام والمسلمين، فالغلاة قد سلكوا مسالك التعصب والعنف والتكفير والقتل والتفجير.

والجفاة يريدون قطع الأمة وفصلها عن دينها وأصولها وأصالتها وثوابتها، أما الغزاة فيتخذون بين هذين الفريقين سبيلاً لتمزيق الأمة وهز ثوابتها وفرض ثقافتهم والعبث بثروات الأمة.

تنتهك حرمات الإسلام وروائح الطائفية المنتنة الهوجاء تنبعث في كل مكان.. مما يستوجب على قادة الأمة أن يهبوا من سباتهم العميق للحفاظ على كيان الأمة ودرء سموم أعدائها المتربصين لها، ومحاصرة كل بوادر الفتنة وسد أبوابها.

على كل صادق في دينه، ناصح لأمته، ساع بجد وإخلاص وإيمان لمصلحتها أن يعلن براءته إلى الله عز وجل من كل دعوة تحارب شريعة الله وتجاهز في عدائها لتاريخها وسلفها وأئمتها ورجالها.

يجب أن تدحر تلك الدعوات التي لا يمكن أن تجتمع مع أصل الإسلام والتوحيد والنهي الذي جاء به سيد البشرية ﷺ.

ورغم هذه الأجواء القاسية إلا أن الأمل في العودة إلى الصلاح، وإصلاح ذات البين، فكانت أبناء اجتماع الفلسطينيين في مكة المكرمة من أجل وضع حد للفتن والاقتتال ليجتمع الأشقاء والفرقاء على طاولة الحوار والسلام في أرض الله الحرام، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥]، وما حدث من اتفاق بين الفلسطينيين ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحقق به الوفاق والوحدة، ويشفي الله به صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، والله سبحانه يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾، والله سبحانه يبغض إلينا التفرق والاختلاف لأنه أول الوهن وباب الفشل والضياع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

الأقصى وهوان المسلمين

فمازالت حرمات المسلمين تنتهك وتستباح، ويستغل الصهاينة انشغال الفلسطينيين وتقاتلهم وحريصين على ترسيخ الخلافات، وبث المشاحنات، مقدمين في تلك الأجواء على تهديد المسجد الأقصى بحفرياتهم الظالمة التي يشتم منها الغدر والخداع، ومشهد الانتفاضة الأولى ما يزال في الأذهان عندما دنست أقدام شارون المسجد الأقصى واشتعلت معها الانتفاضة، وقد شهدت الأراضي الفلسطينية حالة من الغليان..

فهل نضيق ونعود إلى رشدنا؟ هل تتوحد إرادتنا، وتلتئم جراحاتنا؟ ليس ذلك على الله ببعيد.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

على كل صادق في دينه، ناصح لأمته، ساع بجد وإخلاص وإيمان لمصلحتها أن يعلن براءته إلى الله عز وجل من كل دعوة تحارب شريعة الله وتجاهز في عدائها لتاريخها وصحابتها وسلفها وأئمتها ورجالها

مؤتمر «حرمات الإسلام» وتوصياته

الكويت - جمال سعد حاتم

في ختام مؤتمر «تعظيم حرمات الإسلام» والذي انعقد في الكويت في الفترة من ٣ محرم إلى ٥ محرم ١٤٢٧هـ برعاية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويتية، بدعوى كريمة من الشقيقة مجلة البيان ومبرة الأعمال الخيرية في الكويت منظمي المؤتمر.

وقد حضر المؤتمر جمع من علماء الأمة ومثقفيها ودعاتها لتداول الآراء حول ظاهرة التطاول على حرمات الإسلام، والبحث عن أسبابها ودوافعها، واقتراح سبل مواجهتها والحد من آثارها، وقد تناول المؤتمر مظاهر الاستهانة بدين الإسلام ورموزه وحرماته من قِبل أعداء الإسلام، ومن أدعيائه.

وقد أشاد المشاركون في المؤتمر بردود أفعال العالم الإسلامي تجاه تلك التصرفات - رغم ما شاب القليل من تلك الردود من العواطف غير المنضبطة بضوابط الشرع، إلا أنهم أكدوا أن مجمل مواقف أبناء الأمة وعلمائها تثبت في كل مرة أنها أمة لا تزال حية الوجدان، يقظة البصيرة أمام ما يحاك ضد دينها وقرآنها ورسولها ﷺ وشريعتها الغراء.

جهود المؤسسات الإسلامية في الدفاع عن حرمات الأمة

وقد ثمن القائمون على المؤتمر في بيانه الختامي الجهود التي تقوم بها المؤسسات الإسلامية في الدفاع عن حرمات الأمة من منظمات ومجلات وقنوات فضائية ومواقع إلكترونية مشيرين إلى أن التنديد بالإساءات والتظاهرات لا تكفي، فالأمر بحاجة إلى إيجاد آليات أكثر تأثيرًا وأوسع بلاغًا، حاول المؤتمر صياغتها في توصياته التي حثت على تكاتف الشعوب الإسلامية لحماية هويتها وحرماتها وقيمها من التجاوز والتطاول داخل ديار المسلمين والتي تعد أحد أسباب زيادة جرأة غير المسلمين على حرماتها ورموزها.

مطالبة المعتدين بالكف عن الاستهانة بالدم المسلم

وأكد المؤتمر أن الاعتداء على الثوابت والشعائر سواء كان من الداخل أو الخارج يعتبر اعتداء على جميع الأمة يجب الحؤول دونه والحفاظ على حرمة المسلم ومطالبة المعتدين بالكف عن الاستهانة بالدم المسلم وتحويل الرفض النظري لتطاول الغرب على الإسلام إلى تحرك عملي جاد ومستمر على جميع المستويات الرسمية والشعبية من خلال تفعيل جهود المقاطعة الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية للجهات المصرة على مواقفها العدائية ضد الإسلام من أجل الحفاظ على منزلة الأنبياء - عليهم السلام - ومكانتهم.

إنشاء مراكز للدراسات المتخصصة

وأشار المؤتمر في بيانه الختامي إلى عدة قرارات وتوصيات نوجزها فيما يلي:

١- حق الأمة الإسلامية في الدفاع عن دينها وحرماتها: يدعم المؤتمر حق جموع الأمة في الدفاع عن عقيدتها وشريعتها بكل السبل المشروعة سياسيًا واقتصاديًا.

٢- التعدي على الحرمات نقطة فاصلة في علاقة الأمة بغيرها: يؤيد المؤتمر أن الاعتداء على

حول حماية هوية الأمة

الثوابت والشعائر، سواء كان ذلك من الداخل أم من الخارج، يعتبر اعتداءً على جميع الأمة، تجب الحيلولة دونه.

٣- الاعتداء على الإنسان المسلم اعتداء على جموع الأمة: يؤكد المؤتمرون على أن حرمة الإنسان في الإسلام هي من أعظم الحرمات، لذا يطالبون لأجل ذلك بالكف عن الاستهانة بالدم المسلم من المعتدين ومن يساندونهم.

التحرك العملي لحماية حرمات الأمة

٤- التحرك العملي البناء لحماية حرمات الأمة: بتحويل ذلك الرفض النظري إلى تحرك عملي جاد ومستمر على المستويات الرسمية والشعبية، لإظهار أن الأمة الإسلامية لا تقبل المساس بمقدساتها وحرماتها.

٥- أهمية تضافر الجهود الإعلامية والفكرية والثقافية للتأكيد على مكانة الأنبياء: ينظر المؤتمرون بقلق بالغ لظاهرة انتشار الاستهزاء بأنبياء الله صلوات الله عليهم في وسائل الإعلام الغربية تحديدًا، ومن خلال العديد من المواقع الإلكترونية الغربية، لذا يوصي المؤتمر أن تتضافر الجهود من أجل الحفاظ على منزلة الأنبياء ومكانتهم، ولسن الأنظمة الدولية التي ترعى حرمتهم، وتصونها من العبث الفكري والإعلامي والثقافي، وأن تكون الأمة الإسلامية في طليعة المطالبين بذلك.

٦- إنشاء مراكز للدراسات المتخصصة في دراسات الاستشراق والغرب ودعمها: يرى المؤتمرون أن الأمة الإسلامية تعاني من نُدرة المراكز الفكرية المتخصصة في التعرف على الفكر الغربي، لذا يوصي المؤتمر أن تعتني الأمة في المرحلة القادمة بإنشاء العديد من المراكز الفكرية والإعلامية المتخصصة في فهم الغرب.

٧- إصدار دراسات متخصصة في استراتيجيات الأمة في تحجيم الإساءات الموجهة ضد دينها وحرماتها.

تفاعل الحكومات والمؤسسات الرسمية

٨- أهمية تفاعل الحكومات والمؤسسات الرسمية مع بقية الأمة: يطالب المؤتمر الحكومات العربية والإسلامية، والهيئات والفعاليات السياسية والدبلوماسية اتخاذ مواقف أصح وأصرح للتعبير عن دين الأمة وهويتها، والمؤتمر يعد عدم التفاعل الرسمي من البعض في مواجهة تكرار هذه الإساءات لأمتنا نوعًا من الإخلال بأمانة المسئولية وتكاليف النيابة عن الأمة.

مناهج الدراسة في العالم الإسلامي

٩- ضرورة تأكيد مناهج الدراسة في العالم الإسلامي على تعظيم الحرمات، واحترام الأنبياء، والاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: يتقدم المؤتمر بدعوة إلى وزارة التربية والتعليم في العالم الإسلامي، وإلى القائمين على مسيرة تطوير مناهج التعليم في الأمة الإسلامية للتأكيد على تعظيم الشعائر والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله تعالى عنهم من خلال البرامج التعليمية التي تربي الأجيال الناشئة من الأمة على تعظيم حرمات الإسلام.

دور وسائل الإعلام في تعظيم حرمات الإسلام

١٠- دعوة وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية إلى تعظيم حرمات الإسلام والمسلمين، وعدم استفزاز عموم الأمة بالتطاول على الثوابت: كما يوصي المؤتمر القائمين على وسائل الإعلام

العربي والإسلامي أن يكونوا درعًا للأمة في صد الحملات الخارجية، وألا يتحول البعض منهم إلى سلاح ضد الأمة بدلاً من أن يكون سلاحًا لها، ويشكر المؤتمر الإخوة التجار الذين تفاعلوا مع جلسات المؤتمر وتكفلوا بإنشاء قناة فضائية خاصة بتعظيم حرمات الإسلام.

لجنة قانونية إسلامية للدفاع عن الحرمات

١١- إنشاء لجنة إسلامية قانونية للدفاع عن الحرمات الإسلامية: يوصي المؤتمر بتكوين لجنة قانونية متخصصة تسعى إلى ضمان عدم التعدي على الحرمات الإسلامية، وتجريم الإساءة إلى ثوابت الدين، والملاحقة القضائية والقانونية للمتجاوزين من غير المسلمين أو من المنتسبين إلى الإسلام، وتحميلهم المسئولية الشرعية، والتنسيق مع اللجان الأهلية والحكومية العاملة في المجال نفسه من أجل توحيد الجهود وتعزيزها، وقد بادر بعض القانونيين في كلية الحقوق في الكويت بتقديم مشروع متكامل في هذا الصدد.

تعريف الإسلام لغير المسلمين

١٢- التركيز على الجهود الدعوية الرامية إلى تعريف الغربيين بالإسلام: يؤكد المؤتمر على أهمية الجهود الدعوية في الدفاع عن حرمات الأمة عن طريق تعريف الغربيين بالإسلام من خلال البرامج الإعلامية والفكرية الموجهة، والقنوات الفضائية المتخصصة في مخاطبة الغرب، والتركيز على مخاطبتهم بالأساليب الدعوية المناسبة للشخصية الغربية.

١٣- أهمية دور الجاليات الإسلامية في الغرب: يوصي المؤتمر بالاستفادة من الجاليات المسلمة في الغرب كخط دفاع أول في مواجهة ظاهرة التطاول.

١٤- الاهتمام بجوانب الآداب والفنون لمواجهة ظاهرة التطاول على حرمات الإسلام: يرى المؤتمر أن ظاهرة التطاول على الإسلام وحرماته قد استغلت بعض مجالات الآداب والفنون، وأن التصدي لها يقتضي تشجيع العاملين في المجالات الأدبية والفنية في العالم الإسلامي لتوظيف تلك المجالات واستخدامها في الدفاع عن الإسلام وتعظيم حرماته وشعائره.

مطالبة المنصفين من الغرب بإعلان مواقفهم

١٥- مطالبة المُنْصِفِين من عقلاء الغرب بالإعلان عن مواقفهم: وقد تم تشكيل لجنة من بعض حضور المؤتمر لإعداد رسالتين: الأولى موجهة إلى قادة الغرب ومفكريه، أعدت مسودتها الأولى بعنوان: «موقفنا من تجاوزاتكم»، ولازالت في مرحلة الصياغة، والثانية: موجهة إلى بابا الفاتيكان لرد افتراءاته الأخيرة.

١٦- أهمية عقد فِرق عمل حول التوصيات، وتحويل نتائج المؤتمر إلى خطط وبرامج عملية.

١٧- تكوين لجنة خاصة بمتابعة توصيات المؤتمر من اللجان المنظمة.

ختامًا: يحث المؤتمر العلماء والمصلحين على تربية أبناء الأمة على التفاؤل والإيجابية والاعتزاز بالهوية وتعظيم النصوص الشرعية والوقوف عند حدودها.

وأسرة التحرير بمجلة التوحيد تدعو الله سبحانه أن يُبارك في جهود المخلصين ممن شاركوا في المؤتمر وعملوا على إنجاحه بكافة الوسائل، ونخص بالذكر وزارة الأوقاف الكويتية، ومجلة البيان، ومبرة العمل الخير.

نسأل الله عز وجل أن يعز دينه وينصر أولياءه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سورة النازعات

الحلقة الثانية

يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ١٥-٢٦]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

المقصود من ذكر هذا الطرف من قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون حَثُّ النبي ﷺ على الصبر على ما يلقاه من الأذى والتكذيب؛ لأنَّ الله تعالى سيجعل العاقبة له كما جعلها منْ قبلُ لموسى - عليه السلام - وسيهلك من كذبه كما أهلك فرعون لما كذب موسى، وقد استفتحت الآيات بهذا السؤال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ أي: هل أتاك يا نبينا حديث أخيك موسى الكليم؟ وهو سؤالٌ للتشويق، يستخدمه الناسُ في أحاديثهم، ليملك المتكلم مشاعر السامع وأحاسيسه، ويأخذ بسمعه وقلبه ! ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ وطوًى اسمٌ للوادي المبارك المطهر، الذي بأسفل جبل الطّور، الذي كلّم اللّهُ عليه موسى، وناداه: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، وهذا النداءُ المختصر هنا قد فُصّل في سورة طه، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٥- ٢٤]، والطغيان معناه مجاوزة الحد، والإسراف في الكفر والمعصية والظلم، ولكن انظر إلى الأسلوب الذي يأمر الله موسى - عليه السلام - أن يخاطب به هذا الطاغية: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ

تَزَكَّى﴾ هكذا ؛ بأسلوب العرض اللطيف الطيب، كما تقول أنت لأخيك: هل لك أن تزورنا؟ هكذا مجرد عرض لطيف، من غير إلحاح ولا إزعاج، ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ أي: تتطهر من دنس الكفر بالإيمان، ومن دنس الشرك بالتوحيد، ومن دنس المعصية بالطاعة، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ فأنت عبدٌ لا ربٌّ، فهل أهديك إلى ربك فتخشاه، وتتقيه، فإنه سبحانه: ﴿أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، وهكذا يجب أن يكون أسلوب الدعاة، يجبُ على الدعاة أن يكونوا هينين لينين، فإنّ القول اللين أدعى للقبول، ولذا قال تعالى لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤]،وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ولقد كان النبي ﷺ يحثّ على الرفق واللين فيقول :«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه».

[صحيح: رواه مسلم وأبو داود]

ويقول ﷺ: «إنّ اللّه رفيق يحبّ الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه». [رواه مسلم وأبو داود واللفظ لمسلم]

فلابد للدعاة من الأخلاق الحسنة، ولابدّ من الأسلوب الطيب، والكلمات الطيبة، والعبارات الحسنة، ولو مع أظلم الخلق وأفجرهم، فمهما كان ظلمُ الظالم، وفجور الفاجر، فلن يكون أظلم من فرعون، ولا أفجر منه، ومع ذلك فالله تعالى يقول لموسى - عليه السلام - : ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ وفي السياق اختصار ظاهر، اقتضته الفصاحة والبلاغة؛ إذ ليس من البلاغة التفصيل في موضع الإجمال، ولا العكس، والمعنى: أنّ موسى عليه السلام لما جاء فرعون ودعاه إلى الإيمان أراه الآية الكبرى على صدقه، وهي العصا؛ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى﴾، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء: ٣٤-٤٨].

أمّا فرعون فقد انطلق يهدد ويتوعد، ويقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]، ولكن الله ما كان ليذره يفسد في الأرض بعد ما أنذره، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ أي: انتقم الله منه انتقامًا جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين، فأما أخذه في الدنيا فكما قال تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾[الإسراء:١٠٣]، أما في الآخرة فإنه ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨]، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، فأهل الخشية هم الذين ينتفعون بآيات الله، وينتفعون بالمواعظ، وتنفعهم الذكرى، أما الجبابرة الطغاة الذين قست قلوبهم فإنهم ﴿إِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ(١٤)﴾ [الصافات: ١٣، ١٤]، ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢].

نسأل المولى سبحانه وتعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأقصى بين العدوان المشين والخذلان المهين

لفضيلة الشيخ
عبد الرحمن السديس
إمام الحرم المكي

منبر الحرمين

الحمد لله الأحد الواحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو المستعان على ما نرى ونشاهد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقد عظم البلاء وقلّ المساعد، وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد عظم الخطب والكرب زائد، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله أفضل أسوة وأكرم مجاهد، صلى الله عليه وعلى آله أولي المكارم والمحامد، وصحبه السادة الأماجد، والتابعين ومن تبعهم بأحسن السبل وأصح العقائد، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فأوصيكم - عباد الله - ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى، تدرّعوا بها شدةً ورخاءً، سرّاءً وضراءً، واعمروا بها أوقاتكم صباحاً ومساءً، فبها تُدفع المحن والبلايا، والفتن والرزايا، وبها تُبوَّأ الجنان عاقبةً وجزاءً.

أيها المسلمون، في ذروة تداعيات الأحداث في الأمة، وفي ظل التهاب الأوضاع في المنطقة، بل وفي خضمّ تفجّر القضايا في العالم، ووسط هذا الصمت العالمي، والتخاذل الدولي، والغليان في الشارع الإسلامي، لا بد من وقفة حازمة، نستقرئ فيها التأريخ، ونتأمل في سنن الله الكونية والشرعية، لتُقوَّم من خلالها مسيرةُ الأمة، ونقف طويلاً مع الذات للمحاسبة الدقيقة والمراجعة الشاملة، بمصداقيةٍ وشفافية، ثم الأخذ بزمام المبادرات للعمل الجاد لتحقيق مصالح الأمة أفراداً ومجتمعات، حفاظاً على المكتسبات، وتوطيداً للأمجاد والحضارات، قبل أن يجرفها تيار المتغيرات، وتضمحل في أتُون المستجدّات.

معاشر المسلمين، وللتفاعل الإيجابي مع الحدث، وللعيش مع القضية عن كثب، أستسمحكم - يا رعاكم الله - أن انتقل بكم نقلة شعورية من هنا حيث المسجد الحرام، حيث تعيشون الأمن والأمان، إلى هناك وما أدراك ما هناك، حيث المسجد الأقصى المبارك، وما يعيشه في هذه الأيام من أوضاع مأساوية، وما نكأته الأحداث الأخيرة من جراحات دموية، لا يسع الغيورين على أحوال أمتهم السكوتُ عليها، والتغاضي عنها، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ولعل ذلك الإسراء المشاعري يؤكّد الارتباط الشرعي والتأريخي الوثيق بين هذين المسجدين الشريفين، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

إخوة العقيدة، لم يُبرز التأريخ قضيةً تجلّت فيها ثوابتُنا الشرعية وحقوقنا التأريخية وأمجادنا الحضارية كما برزت فيها الأحقاد الدولية وظهرت فيها المتناقضات العالمية وانكشف فيها حرب المصطلحات وتعرّى فيها بريق الشعارات وسقط القناع عن التلاعب فيها بالوثائق والقرارات كقضية المسلمين الأولى، قضية فلسطين المسلمة المجاهدة الصامدة، والقدس المقدسة، والأقصى المبارك، حيث تشابكت حلقات الكيد في سلاسل المؤامرة،

لتمثل منظومةً شمطاءَ من العداء المعلن، والكره المبطّن، في تآمر رهيب من القوى العالمية، كان من أبرز إفرازاته الخطيرة انخداعُ كثير من بني جلدتنا بخطط أعدائنا، ويتجلى ذلك في إقصاء قضية فلسطين والقدس والأقصى من دائرتها الشرعية ومنظومتها الإسلامية، إلى متاهاتٍ ومستنقعات من الشعارات القومية والإقليمية، والنعرات الحزبية والطائفية، وذلك - لعمرو الحق - بترٌ لها عن قوتها المحرّكة، وطاقتها الدافعة المؤثرة، حتى تاهت القضية في دهاليز الشعارات، والتواء المسارات، وظلام المفاوضات، ودياجير المساومات، وأنفاق المراوغات، في معايير منتكسة، وموازين منعكسة، ومكاييل مزدوجة، تسوّي بين أصحاب الحقوق المشروعة و[أصحاب] الادعاءات الممنوعة، حتى خُيّل لبعض المنهزمين أن القضية غامضة شائكة، لغياب التأصيل العقدي والشرعي لهذه القضية.

أولسنا أمةً لها مصادرها الشرعية، وثوابتها العقدية، وحقوقها التاريخية؟!

إخوة الإيمان، ماذا يؤكدّ قرآننا وسنة نبينا ﷺ؟! ماذا تقرّر عقيدتنا؟! ماذا يدوّن تاريخنا عن القضية وأطرافها؟! مما يؤكد بجلاء أن الصراع بيننا وبين اليهود صراع عقيدة وهوية ووجود.

ألم نقرأ قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]؟!

اقرؤوا التاريخ لتدركوا أن يهود الأمس سلف سيّئ، ويهودَ اليوم خلف أسوأ، كفّارُ النعم، ومحرّفو الكلم، عُبّاد العجل، قتلة الأنبياء، مكذّبو الرسالات، خصوم الدعوات، شُذّاذ الآفاق، حثالة البشرية، ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

هؤلاء هم اليهود، سلسلةٌ متصلة من اللؤم والمكر والعناد، والبغي والشر والفساد، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى الأرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

حلقات من الغدر والكيد، والخسة والدناءة، تطاولوا على مقام الربوبية والألوهية، ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء﴾ [آل عمران:١٨١]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة:٦٤]، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

لقد رموا الرسل بالعظائم، واتهموهم بالشناعات والجرائم، آذوا موسى، وكفروا بعيسى، وقتلوا زكريا ويحيا، وحاولوا قتل محمد ﷺ، عملوا له السحر، ودسّوا له السمّ، بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

أمة الإسلام، واليوم تواجه الأمة الصراع على أشدّه مع أعداء الأمس واليوم والغد، مع أحفاد بني قريظة والنضير وقينقاع، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة. فهل يعي بنو قومنا حقيقةَ أمةِ الغضب والضلال بعد أن تفاقم شرهم وتطاير شررهم وطفح بالعدوان كيلهم؟! فالصراع أخذ يتفجّر ويتعاظم، والاستغلال والأطماع تزداد وتتفاقم، والتمادي في الاستخفاف بالعرب والمسلمين ومقدساتهم بلغ أوج خطورته من جرذان العالم، نقضةِ العهود والمواثيق، مَنْ عشَّش الغدر والتخريب والمكر في عقولهم، وسرى الظلم والطغيان في عروقهم، فأبوا إلا الصلَف والرعونة والفساد والأذى، فاستحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

لما جنحتِ الأمةُ للسلم تحقيقاً للمصالح الكبرى ودرءاً للمفاسد العظمى لم يجنحوا لها. ولا عجب، فهو سلام مع جهة لا يرضيها إلا تصفية الخصم، واستلاب أرضه، وتشريد أهله،

والعبث باقتصاده، وإلغاء كرامته، وانتقاص سيادته، وتقطيع أوصاله، وتناثر أشلائه.

ألا فلتعلم الأمة أن هؤلاء القوم قومٌ تاريخهم مقبوح، وسجلهم بالسواد مكلوح، ولن يرضوا إلا بتحقيق أطماعهم، لا بلّغهم الله مرادهم.

يريدون إقامة دولة إسرائيل الكبرى، وأن تكون القدس عاصمةً لها، كما يطمحون ويطمعون إلى هدم المسجد الأقصى، وبناء هيكلهم المزعوم على أساسه، يريدون إبادة دولة التوحيد والقرآن، وإشادة دولة التوراة والتلمود على أنقاضها، عليهم من الله ما يستحقون. فعلى مبادرات السلام السلام، مع قوم هذا ديدنهم عبر التاريخ، وتلك أطماعهم ومؤامراتهم.

ولعل ما حدث على الساحة الفلسطينية من مشاهد مرعبة ومآسي مروّعة حيث المجازر والمجنزرات، والقذائف والدبابات، جُثثٌ وجماجم، حصار وتشريد، تقتيلٌ ودمار، في حرب إبادة بشعة، وانتهاك صارخ للقيم الإنسانية، وممارسة إرهاب الدولة الذي تقوم به الصهيونية العالمية، مما لم ولن ينساه التأريخ، بل سيسجله بمداد قاتمة، تسطّرها دماء الأبرياء، الذين رويت الأرض بمسك دمائهم، من إخواننا وأخواتنا على أرض فلسطين المجاهدة، الذين يُذبَّحون ذبح الشياه. عشراتُ المساجد دمِّرت، ومئات البيوت هُدِّمت، وآلاف الأنفس أُزهقت، كم نساءٍ أيِّمت، وأطفالٍ يُتِّمت، ومقابر جماعية أقيمت، فإلى متى الذل والمهانة والضعف والهزيمة والاستسلام؟! أما آن لهذا الهوان أن ينتهي، وللضعف والذل أن ينقضي، والليل الطويل أن ينجلي؟! فهل تفيق أمتنا من سباتها؟! نداءٌ حار إلى قادة المسلمين أن أدركوا فلسطين قبل أن تضيع، واعملوا على إنقاذ الأقصى قبل أن يُستقصى.

إن من يشنّ هذه الحرب الضروس ومن يقف وراءها انطلاقاً من فلسفة الإبادة العنصرية لن يفلت من قبضة الجبار جل جلاله، كما لن يسلم من غضب الشعوب، وسخط التأريخ. إنها مأساة يعجز اللسان عن تصويرها، ويخفق الجنان عند عرض أحزانها، ويعيى البيان عن ذكر مآسيها، ويقصر الوصف عن بيان أبعادها وخطورتها، مأساةٌ بكل المقاييس، ومعضلةٌ بكل المعايير، ليس لها من دون الله كاشفة، فرحماك ربنا رحماك، واللهم سلم سلم.

إن هذه الكارثة من أوضح الدلائل على سجية القوم، وما يكنّونه لأمتنا ومقدّساتنا، إنه لأمر تبكي له العيون دماً، يُقتَل الأبرياء العزّل على أيدي سفاحي الصهاينة، ورثة النازية والفاشية، فأيُّ حقٍّ لهم في فلسطين؟! الأرضِ العربية الإسلامية التاريخية إلى قيام الساعة، التي تبوّأت منذ فجر التاريخ مكانتها المرموقة لدى المسلمين، بل هي جزء من ثوابتهم، وأمانة في أعناقهم، ولن يفرّطوا بشبر من أرضها - بإذن الله - ما دام فيهم عرق ينبض، وإن الحق الذي يدعيه يهود في فلسطين خرافةٌ لا سند لها، وصلافةٌ لا مبرِّر لها، لقد مضى أكثر من خمسة عقود من الزمان على قضية المسلمين الكبرى، والمأساة تتجدد يوماً بعد آخر، فأين المسلمون؟!

إني أنادي والرياح عصيبة
والأرض جمرٌ والديار ضِرام
يا ألف مليون ألا من سامع؟!
هل من مجيب أيها الأقوام؟!
قد بُحّ صوتي من ندائك أمتي
هلا فتًى شاكي السلاح هُمام؟!

لقد نكأت الأوضاع المستجدة الجراح، فأين منا خالد والمثنّى وصلاح؟! يا ويح أمتِنا ماذا أصابها؟! أيطيب لنا عيش، ويهدأ لنا بال، ويرقأ لنا دمع، ومقدساتنا تئنّ، وقدسُنا تستنجد، وفلسطيننا تنادي، والأقصى يستصرخ قائلاً:

كلُّ المساجد طُهِّرت
وأنا على شرفي أُدنَّس؟!

كل ذلك يحدث على مسمع من العالم ومرآه، وكأن المسلمين لا بواكي لهم، أين العالم بهيئاته ومنظماته؟! أين مجلس أمنهم وهيئة أممهم؟! أين هم من بكاء الثكالى، وصراخ اليتامى، وأنين الأرامل، واغتصاب الأرض، وتدنيس العرض؟! أين شعارات ومنظمات حقوق الإنسان الزائفة؟! ماذا يردّ الضمير العالمي؟! وأين هي المقاطعات السياسية والاقتصادية على مجرمي الحرب والمستهترين بالأعراف الدولية والقرارات العالمية؟!

يا صناع القرار، يا قادة العالم، يا أصحاب الرأي، يا من تدّعون محاربة الإرهاب، ماذا تسمون ما فعله هؤلاء المجرمون بالمسلمين في فلسطين؟! وسيرجع إليك الطرف خاسئاً وهو حسير، حينما يتّهمون أصحاب الحق المشروع المقاومين للظلم والبغي والاحتلال بالإرهابيين، فهل تطلُّعات أكثر من مليار من المسلمين في الحفاظ على مقدساتهم تُعدُّ وحشية وإرهابا؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

أيها الإخوة المرابطون على أرض فلسطين المجاهدة الصامدة، أرضِ العز والشموخ والفداء، والتضحية والجهاد والإباء، يا أهلنا في الأرض المباركة فلسطين، يا أحبتنا في أرض الإسراء والمعراج، عُذراً إن وجدتم من كثير من أبناء أمتكم التخاذل والتثاقل، لَكَم أرّقنا أنَّ أقصانا أسير بأيدي البغاة الطغاة العتاة، فما يُذكر الأقصى - أقر الله الأعين بفكّ أسره وقرب تحريره - إلا وتعتصر قلوبُنا حسرةً وأسى على ما جرى له ويجري، مما فطّر الأكباد، وأدمى القلوب، فصبراً صبراً أيها المرابطون.

لقد أعدتم الأمل في النفوس، فثِقوا بنصر الله لكم، متى ما نصرتم دينه، ﴿إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]. قلوبنا معكم، والله ناصركم، والمال نبذله، فواصلوا دربكم، واستنهضوا الهمما. هنيئاً لكم تقديمُ الأرواح رخيصةً في سبيل الله، ودعاؤنا أن يتقبل الله قتلاكم شهداء، وأن يكتب لمرضاكم عاجل الشفاء، وأن يحيينا وإياكم حياة السعداء. لا تيأسوا من روح الله، فالنصر قادم بإذن الله، ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

لا بد من الجدّ في مسالك الإصلاح، والاستيقاظ من الغفلة والتغفيل، وبعث الوعي العميق والتأصيل الوثيق بخطىً مؤصلة، ومنهجية مدروسة، تواجه دسائس اليهود، بكل حزم وحكمة.

أمةَ الجهاد والفداء، إن واجب المسلمين الوقوف مع إخوانهم في العقيدة في فلسطين وغيرها، ودعمهم مادياً وعينياً ومعنوياً، والإنفاق في سبيل الله، فالجهاد بالمال مقدّمٌ على الجهاد بالنفس في كثير من آي الكتاب وسنة النبي الأواب كما لا يخفى على أولي الألباب، ﴿ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ × تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف:١٠-١١]، وقال ﷺ : «جاهدوا المشركين بألسنتكم وأموالكم وأنفسكم» خرجه مسلم في صحيحه![١].

والمسلم الحق لا يتردد في البذل والعطاء في مواطن الجهاد والفداء، ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاَء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِىُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَالَكُم﴾ [محمد:٣٨].

أيها الأحبة في الله، ألا وإن مما يبعث على التفاؤل هذا التفاعل الإسلامي، والتعاطف الإيماني، والترابط الأخوي الشعبي والرسمي لأمتنا الإسلامية مع إخوانهم المسلمين هناك، مع ما يؤمّل من بذل المزيد في نصرة الحق وأهله،

وردع الظلم وأهله، فهنيئاً لهذه البلاد المباركة مبادراتها الإيجابية العملية البناءة، ولا غرو فلها القدح المعلّى والدور المجلّى في نصرة قضايا المسلمين ووقوفها معهم، لا سيما عند الكوارث؛ تشدّ أزرهم، وتضمّد جراحهم، انطلاقاً من واجبها الإسلامي في كونها قبلة المسلمين، ومحطّ أنظارهم، ولقد كانت قضية فلسطين إحدى ثوابت سياستها الخارجية، في مؤازرة شتى قضايا أمتنا الإسلامية، جعله الله في موازينها، وزادها من الخير والهدى والتوفيق بمنه وكرمه.

والدعوة موجهة إلى المسلمين جميعاً في دعم هذه الحملات الخيرية المباركة، لنكون يداً واحدة تسبق أفعالُنا أقوالَنا في نصرة الإسلام والمسلمين، والدفاع عن مقدساتنا، وعدم التفريط بأيٍّ من ثوابتنا العقدية والشرعية وحقوقنا التاريخية مهما كلفنا ذلك من ثمن، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة الصغار على أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والوثنيين وسائر المفسدين، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠].

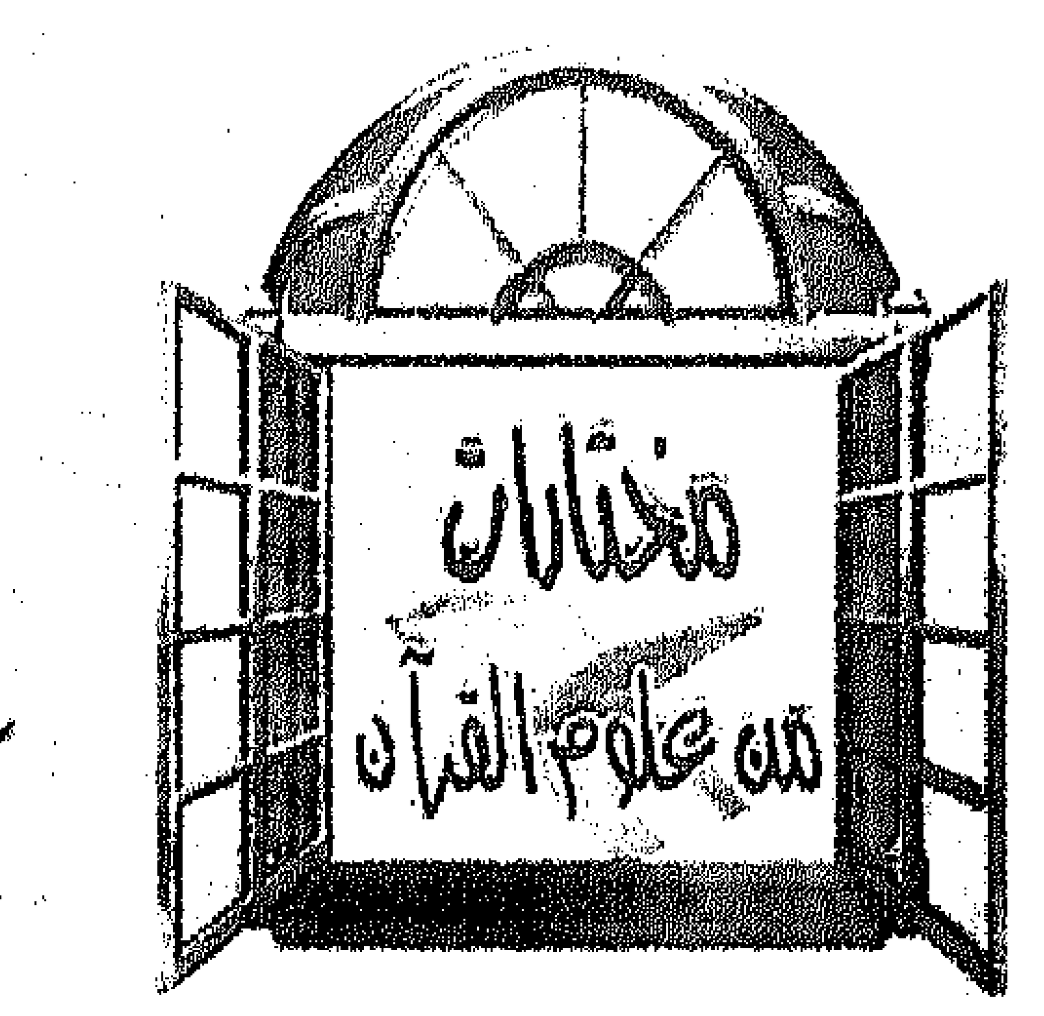
واجب الأمة في المرحلة الحالية

أيها الإخوة في الله، لعلّ اللبنة الأولى في مواجهة هذا الصراع مع العدو الصهيوني الغاشم هي العودة إلى الذات، إصلاحُ بناء الأمة من الداخل، اعتصامُها بحبل الله وسنة رسوله ﷺ، والوقوفُ صفاً واحداً أمام العدو المتربّص، والتفطّنُ للعدو من الصديق، في الوقت الذي تواجه فيه الأمة ألواناً من التحديات، يتولى كبرها والتخطيط لها حكام صهيون، وأذنابهم وأفراخهم، في حروبٍ معلنة وخفية، حتى بلغوا مبلغاً خطيراً، أنجبت هذه المخططات نوابتَ في بلاد المسلمين، ترفض الشريعة، وتعبث بالأخلاق والقيم، سُخِّرت أقلامٌ وأفلام ووسائل إعلام لخدمة هذه المخططات الآثمة، وفي الأمة من لا يزال سادراً في غيّه وضلاله، يُثبِّط ويُخذِّل، ولا تمثّل عنده مقدسات الأمة شيئاً، لا تثير فيه عاطفةً إسلامية، يرى الأقصى كأيّ مبنى آخر، في وجه علمانيٍّ كالح، وآخرون في الأمة أشتاتٌ متنافرون، لعبت بهم الفرقة والخلافات والأهواء، واكتوت قلوبهم بالحسد والبغضاء، والتباغض والشحناء، وانشغل كثير منهم بالبدع والمحدثات، ولربما تشاءموا من بعض الشهور والأيام، وذوي العاهات والأسقام.

إنها دعوة للأمة إلى أنه لا يستردُّ مجدٌ ولا يُطلب نصرٌ إلا بالسير على خُطى سلف هذه الأمة، فليس يصلُح أمرُ آخر هذه الأمة إلا بما صلَح به أولها، وإن التفريط في الثوابت ودخول النقص على الأفراد والمجتمعات في عقيدتها وقيمها وأخلاقها وفضائلها سببٌ لحلول الهزائم في الأمم، والانتكاسات في الشعوب والمجتمعات، فلن يُحرَّر الأقصى إلا بالقيام بما أمر الله به ووصى، ولن تُستردَّ المقدسات إلا برعاية العقيدة والشريعة والمكرمات، في محافظةٍ على سياج الفضائل، ومجانبةٍ للشرور والرذائل، في محافظةٍ على قيم أبناء المسلمين وفتياتهم، ومجانبَتهم دسائسَ اليهود، ومسالك الشر والفساد، والسفور والتبرج والاختلاط.

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يهيِّئ لهم من أمرهم رشدا، إنه جواد كريم، ألا قد بلَّغت، اللهم فاشهد.

والحمد لله رب العالمين.



سورة آل عمران

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن وجه تسمية سورة آل عمران وسببٌ نزولها وما اشتملت عليه وفي هذه الحلقة نستكمل الحديث حول ما اشتملت عليه من فضائل ولطائف، فنقول مستعينين بالله:

وقال الشيخ الصابوني في «قبس من نور القرآن»:

«سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ركنين هامين: أولهما ركن العقيدة الإسلامية الصافية، مع ذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، والثاني ركن التشريع، وبخاصة فيما يتعلق بأحكام الجهاد في سبيل الله.

أما الركن الأول: ركن العقيدة فقد تناولت الآيات الكريمة أدلة الوحدانية والنبوّة وإثبات صدق القرآن، وأنَّه تنزيل الرحيم الرحمن، وردت بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، على الشبهات التي أثارها أهل الكتاب «اليهود والنصارى» وإذا كانت سورة البقرة قد تناولت الحديث عن الزمرة الأولى من أهل الكتاب، وهم «اليهود» فكشفت عن خفاياهم ونواياهم، وأظهرت حقيقتهم وما انطوت عليه نفوسهم الشريرة، من خبث، ومكر، وكيد.

فإن سورة آل عمران قد تناولت الزمرة الثانية من أهل الكتاب، وهم النصارى، الذين جادلوا الرسول ﷺ في أمر السيد المسيح «عيسى بن مريم» عليه السلام فزعموا بنوَّته للّه، وادعوا أنه ثالث ثلاثة، بل إن بعضهم غالى في شأنه، فزعم أنه هو الله، تجسد وتمثل في صورة بشر، إلى آخر ما افتراه النصارى، تعالى الله وتقدَّس عما يقول الظالمون علوًا كبيرا.



أما الركن الثاني: فقد تناول الحديث عن الجهاد والشهداء، وعن بعض الغزوات وبخاصة عن غزوة أحد وما فيها من دروس وعبر.

المقاصد التي سيقت لها هذه السورة

والمقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئًا في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أعد المتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارعة إليه، وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أساليب هذه السورة، هذا ما كان ظهر لي أولاً، وأحسن منه أن

فضائل ولطائف

الحلقة الثانية

إعداد/ مصطفى البصراتي

نخص القصد الأول وهو التوحيد بالقصد فيها فإن الأمرين الآخرين يرجعان إليه، وذلك لأن الوصف بالقيومية يقتضي القيام بالاستقامة، فالقيام يكون على كل نفس، والاستقامة العدل كما قال سبحانه: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] أي بعقاب العاصي وثواب الطائع بما يقتضي للموفق ترك العصيان ولزوم الطاعة، وهذا الوجه أوفق للترتيب، لأن الفاتحة لما كانت جامعة للدين إجمالا جاء ما به التفصيل محاذيًا لذلك، فابتدئ بسورة الكتاب المحيط بأمر الدين، ثم بسورة التوحيد الذي هو سر حرف الحمد وأول حروف الفاتحة لأن التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناء إلا عليه، ولما صح الطريق وثبت الأساس جاءت التي بعدها داعية إلى الاجتماع على ذلك، وأيضا فلما ثبت بالبقرة أمر الكتاب في أنه هدى وقامت به دعائم الإسلام الخمس جاءت هذه لإثبات الدعوة الجامعة في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] فأثبت الوحدانية له بإبطال إلاهية غيره بإثبات أن لكل عبيده دعت سورة النساء إلى إقبالهم إليه واجتماعهم عليه، ومما يدل على أن القصد بها هو التوحيد تسميتها بآل عمران، فإن لم يعرب عنه في هذه السورة ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه وتعالى فيها من أخبارهم بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة كما أن التوحيد خاصته المعقولة، والتوحيد موجب لزهرة المتحلي به فلذلك سميت الزهراء. [ذكره البقاعي في نظم الدرر]

وجوه التلازم بين سورة البقرة وآل عمران

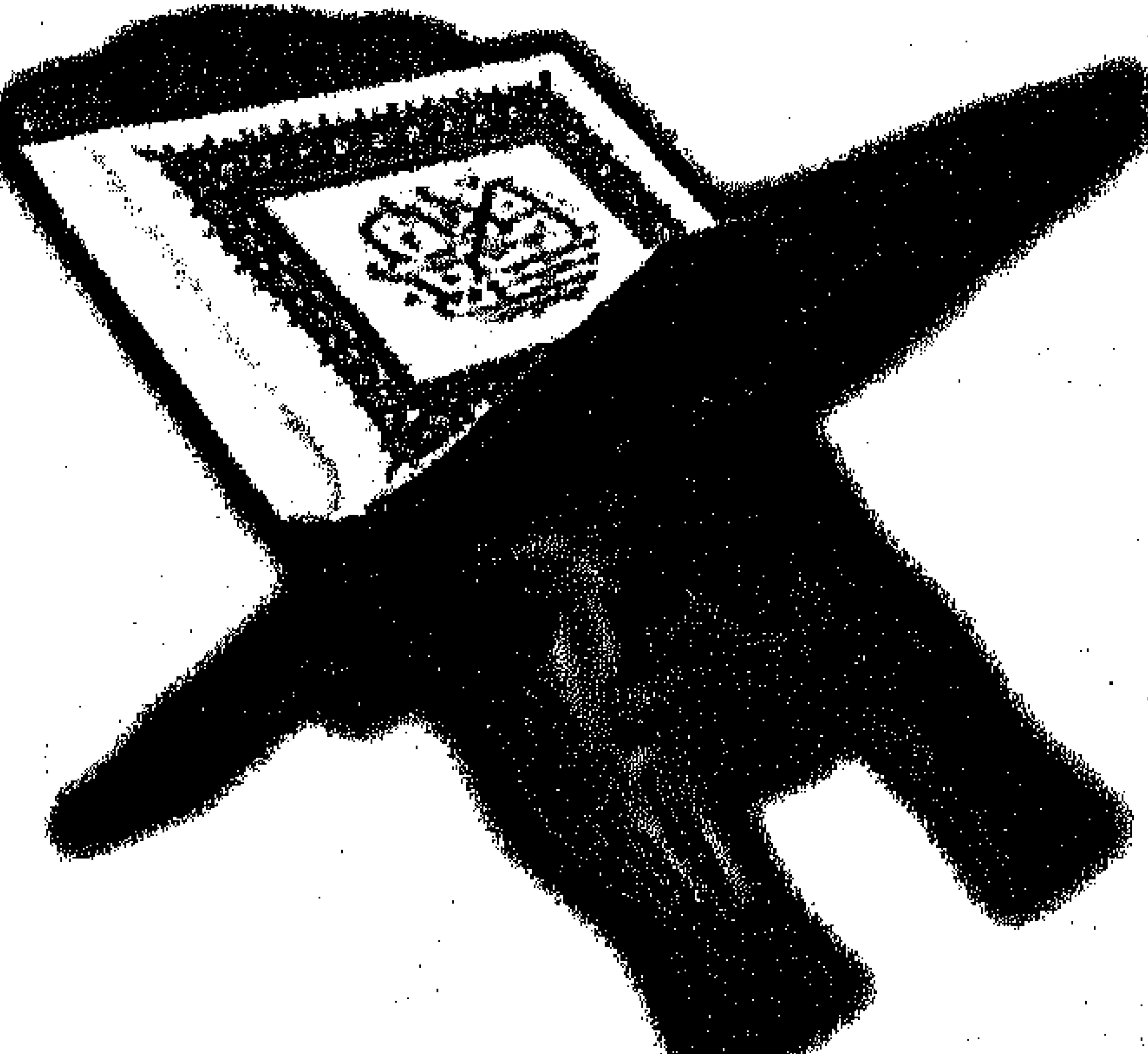
ورد في صحيح مسلم تسمية آل عمران والبقرة الزهراوين ووجه تلازمها ومناسبتها لتلك السورة أن كثيرًا من مجملاتها تشرح بما في هذه السورة وأن سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة وهذه بمنزلة إزالة الشبهة ولهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود الذي هو بيان حقية الكتاب من إنزال الكتاب وتصديقه للكتب قبله والهدي إلى الصراط المستقيم، وتكررت آية ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦] بكمالها، ولذلك ذكر في هذه ما هو تال لما ذكر في تلك أو لازم له، فذكر هناك خلق الناس، وذكر هنا تصويرهم في الأرحام، وذكر هناك مبدأ خلق آدم، وذكر هنا مبدأ خلق أولاده، وألطف من ذلك أنه افتتح البقرة بقصة آدم وخلقه من تراب ولا أم، وذكر في هذه نظيره في الخلق من غير أب وهو عيسى، ولذلك ضرب له المثل بآدم، واختصت البقرة بآدم لأنها أول السور وهو أول في الوجود وسابق، ولأنها الأصل وهذه كالفرع والتتمة لها فاختصت بالأغرب، ولأنها خطاب لليهود الذين قالوا في مريم ما قالوا وأنكروا وجود ولد بلا أب ففوتحوا بقصة آدم



لتثبت في أذهانهم فلا تأتي قصة عيسى إلا وقد ذكر عندهم ما يشهد لها من جنسها ولأن قصة عيسى قيست على قصة آدم والمقيس عليه لابد وأن يكون معلومًا لتتم الحجة بالقياس فكانت قصة آدم والسورة التي هي فيها جديرة بالتقديم.

وقد ذكر بعض المحققين من وجوه التلازم بين السورتين أنه قال في البقرة في صفة النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] مع افتتاحها بذكر المتقين والكافرين معًا وقال في آخر هذه: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فكأن السورتين بمنزلة سورة واحدة، ومما يقوي المناسبة والتلازم بينهما أن خاتمة هذه مناسبة لفاتحة تلك لأن الأولى افتتحت بذكر المتقين وأنهم المفلحون وختمت هذه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ٢٠٠].

وافتتحت الأولى بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة:٤] وختمت آل عمران بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩] وقد ورد أن اليهود قالوا لما نزل ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥، والحديد: ١١] يا محمد، افتقر ربك يسأل عباده القرض فنزل: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وهذا مما يقوى التلازم أيضًا، ومثله أنه وقع في البقرة حكاية قول إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وهنا ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] إلى غير ذلك.



وقال العلامة البقاعي في «نظم الدرر»:

ومناسبة هذا الأول (آل عمران) بالابتدائية لآخر ما قبلها (البقرة) أنه لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي وما بعدها إنما هو بيان، لأنها أوضحت أمر الدين بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتعنت، أو تعجب من حال من جادل في الإلهية أو استبعد شيئًا من القدرة ولم ينظر فيما تضمنته هذه الآية من الآدلة مع وضوحه، أو إشارة إلي الاستدلال على البعث بأمر السنابل في قالب الإرشاد إلى ما ينفع في اليوم الذي نفى فيه نفع البيع والخلة والشفاعة من النفقات، وبيان بعض ما يتعلق بذلك، وتقرير أمر ملكه لما منه الإنفاق من السماوات والأرض، والإخبار بإيمان الرسول واتباعه بذلك، وبأنهم لا يفرقون بين أحد من الرسل المشار إليهم في السورة وبصدقهم في التضرع برفع الأثقال التي كانت على من قبلهم من بني إسرائيل وغيرهم، وبالنصرة على عامة الكافرين، لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة ابتداء هذه السورة بالذي وقع الإيمان به سبحانه وتعالى، وأحسن منه أنه لما نزل إلينا كتابه فجمع مقاصده في الفاتحة على وجه أرشد فيه إلى سؤال الهداية ثم شرع في تفصيل ما جمعه في الفاتحة، فأرشد في أول البقرة إلى أن الهداية في هذا الكتاب وبيّنَ ذلك بحقية المعنى والنظم كما تقدم - إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خُلّص عباده بالإيمان بالمنزل بالسمع والطاعة، وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزل له أن له سبحانه وتعالى كل شيء وبيده النصر، عُلم أنه واحد لا شريك له حيّ لا يموت قيوم لا يغفل وأن ما أنزل هو الحق، فصرح أول هذه (آل عمران) بما أفهمه آخر تلك (البقرة)، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها فقال: (الله) أي الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه لأن له الإحاطة بجميع أوصاف الكمال والنزاهة الكاملة من كل شائبة نقص.

وللحديث بقية.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار (٣٨)

ألف حديث كل ثلاث سنوات

إعداد/ علي حشيش

١١٠٦- كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا أمَرَهُمْ أمَرَهُمْ من الأعْمَال بما يُطيقُونَ، قَالُوا: إنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبكَ وَمَا تَأخَّرَ فَيَغْضبُ حَتَّى يُعرفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ: «إنَّ أتْقَاكمْ وأعْلَمَكُمْ باللهِ أنَا». [خ (٢٠)، د(٢٣٨٩) من حديث عائشة]

١١٠٧- بَيْنَا أَيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عليه جرادٌ مِنْ ذهبٍ فَجَعَلَ أيُّوبُ يَحْثِي[1] في ثوبِهِ فَنَادَاهُ ربهُ، يَا أيُّوبُ؛ ألَمْ أكنْ أغْنيتكَ عمَّا تَرَى، قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكنْ لاَ غِنَى بي عَنْ بَرَكَتِكَ». [خ (٢٧٩، ٣٣٩١، ٧٤٩٣)، حم (٢/٣١٤) من حديث ابي هريرة]

١١٠٨- عن عائشة - رضي الله عنها - أنَّ النبيَّ ﷺ اعتَكَفَ مَعَهُ بعضُ نِسائِهِ وهي مُستحاضَةٌ[2] تَرى الدَّم فَرُبَّمَا وَضَعَتِ الطَّسْتَ تَحْتَها مِنَ الدَّمِ، وَزَعَمَ عكرمة أنَّ عائشةَ رأتْ ماءَ العُصْفُرِ فَقالَتْ: كَأنَّ هَذَا شَيْءٌ كَانَتْ فُلانةُ تَجِدُهُ. [خ(٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٢٠٣٧)، والدارمي (٨٧٧)]

١١٠٩- عَنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: دَخَلَ عبدُ الرحمَنِ بنُ أبي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَنَظَرَ إلَيْهِ رسولُ الله ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: أعْطِني هذا السِّواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقصمتُهُ، ثُم مَضَغْتُهُ فَأعْطيتُهُ رسول الله ﷺ فاستَنَّ بِهِ وهُوَ مُسْتَسْنِدٌ إلى صَدْرِي. [خ(٨٩٠، ١٣٨٩، ٣١٠٠، ٣٧٧٤، ٤٤٣٨، ٤٤٤٦، ٤٤٤٩، ٤٤٥٠، ٤٤٥١، ٥٢١٧، ٦٥١٠)]

١١١٠- عَنْ عائشةَ رضِيَ الله عنها قَالَتْ: سَألْتُ رسولَ الله ﷺ عَن الطَّاعُونِ فَأخْبَرَنِي «أنَّهُ عَذابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَن يَشَاءُ، وَأنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً للمؤمنينَ، لَيْسَ مِنْ أحدٍ يَقعُ الطاعُونُ فَيمكُثُ في بَلَدِهِ صَابرًا مُحتسبًا يَعْلَمُ أنَّهُ لا يُصيبهُ إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِ شهيدٍ». [خ (٣٤٧٤، ٥٧٣٤، ٦٦١٩)، وحم (٦/١٥٤)]

١١١١- عَنْ مَالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه اللَّيْثِيِّ أنَّهُ رأى النبيَّ ﷺ يُصَلِّي، فإذا كَانَ في وِتْرٍ من صَلاته لم يَنْهضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا. [خ(٨٢٣)، د(٨٤٤)، ت(٢٨٧)، ت(١١٥٢)]

١١١٢- عَنْ أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ النبيَّ ﷺ على المنبرِ والحَسَنُ إلى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إلى النَّاسِ مَرَّةً وإليهِ مَرَّةً ويقولُ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ به بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ». [خ(٣٧٤٦، ٣٦٢٩، ٧١٠٩)، وت(٣٧٧٣)، ون(١٤١٠)، ود(٤٦٦٢)]

١١١٣- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بن يَزِيدَ قال: سَألْنَا حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ والهَدي مِنَ النَّبي ﷺ حَتَّى نَأخذ عنه فَقَالَ: مَا أعْرِفُ أحَدًا أقرَبَ سَمْتًا وهَدْيًا وَدَلاً بالنَّبِيِّ ﷺ مِن ابْنِ أمِّ عَبْد. [خ(٣٧٦٢، ٦٠٩٧)، وت(٣٨٠٧)]

١١١٤- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا نخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمانَ، رَضي الله عنهم. [خ(٣٦٥٥، ٣٦٩٧)، د(٤٦٢٧، ٤٦٢٨)]

١١١٥- عَن يزيد بن أبي حبيبٍ قال: سمعتُ مَرْثَدَ بن عبد الله اليَزَنيَّ قَالَ: اتيتُ عُقْبَةَ بنَ عَامرٍ الجُهَنيَّ رضي الله عنه فقُلْتُ: ألاَ أُعَجِّبُكَ مِنْ أبي تَميمٍ؟ يَرْكَعُ رَكْعَتينِ قَبْلَ صَلاةِ المغربِ، فقالَ عُقبةُ: إنَّا كُنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: فما يمنعُك الآنَ؟ قالَ الشُّغْلُ. [خ(١١٨٤)، حم (٤/١٥٥)]

١١١٦- عن ابنِ عباسٍ - رضي الله عنهما - قال النبيُّ ﷺ: «يَرحمُ اللهُ أُمَّ إسماعيلَ، لو تركت زَمْزَمَ - أو قَالَ: لَوْ لَمْ تَغرِفْ مِنَ المَاءِ - لَكَانَتْ عَيْنًا مَعينًا وأقْبَلَ جُرْهُمُ فَقَالُوا: أتَأذَنينَ أن نَنْزِلَ عِندكِ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ولا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ». [خ(٢٣٦٨، ٣٣٦٢، ٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، حم (١/٢٥٣)]

١١١٧- «إذا خَلَصَ المُؤمنونَ من النَّارِ حُبِسُوا بقَنْطرةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنيا حَتَّى إذَا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بدخُول الجنَّة فوالذِي نفسُ مُحمَّد بيدِهِ لأحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ في الجنَّة أدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ في الدنيا». [خ(٢٤٤٠، ٦٥٣٥)، وحم(٣/١٣، ٦٣) من حديث ابي سعيد الخدري]

١١١٨- «الظَّهْرُ يُرْكَبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا، وَلَبَنُ الدَّرِّ يُشْرَبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا، وَعَلَى الذي يَرْكَبُ وَيَشْرَبُ النَّفَقَةُ». [خ(٢٥١٢، ٢٥١١)، وت(١٢٥٤)، ود(٣٥٢٦)، وجه(٢٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه]

١١١٩- عَنْ مَجْزَأَةَ بْنِ زَاهِرٍ الأَسْلَمِيِّ عَنْ أبيه- وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الشَّجَرَةَ- قَالَ: إِنِّي لأُوقِدُ تَحْتَ القُدُورِ بِلُحُومِ الحُمُرِ إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَنْهَاكُمْ عَنْ لحُومِ الحُمُرِ. [خ(٤١٧٣)]

١١٢٠- «لو أَنَّ ابنَ آدمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مِلأً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إليه ثانيًا، ولو أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إليه ثالثًا، ولا يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». [خ(٦٤٣٨) من حديث عبد الله بن الزبير]

١١٢١- «يذهبُ الصَّالحون؛ الأَوَّلُ فالأَوَّلُ ويَبْقَى حُفَالَةٌ[٣] كَحُفَالَةِ الشعيرِ أو التمرِ لا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً». [خ(٦٤٣٤)، وحم(١٩٣/٤) من حديث مرداس الأسلمي]

١١٢٢- «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ». [خ(٢١٥٨)، متفق عليه من حديث ابن عباس]

١١٢٣- «إِنَّ بالمدينةِ أَقْوامًا مَا سِرْتُم مَسِيرًا وَلاَ قَطعتُم وَادِيًا إلاَّ كانُوا مَعَكم». قالُوا: يا رسولَ اللهِ وهُمْ بالمدينةِ؟ قالَ: «وهُم بالمدينةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ». [خ(٤٤٢٣)، وجه(٢٧٦٤) من حديث أنس بن مالك]

١١٢٤- «لَنْ يُفْلِحَ قومٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً». [خ(٤٤٢٥)، (٧٠٩٩)، وت(٢٢٦٢)، ون(٥٣٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه]

١١٢٥- عَنْ جَابِرٍ - رضي اللهُ عنه - قال: لمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أعُوذُ بِوَجْهِكَ». قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعُوذُ بوجْهِكَ». ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ - هَذَا أَيْسَرُ». [خ(٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦)، وت(٣٠٦٥)]

١١٢٦- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: لمَّا نَسَخْنَا الصُّحُفَ في المَصَاحِفِ فَقَدْتُ آيَةً مِنْ سُورَةِ الأَحْزَابِ كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ رسولَ الله ﷺ يَقْرَؤُهَا لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إلا مَعَ خُزَيْمَةَ الأنصاريِّ الذي جَعَلَ رسُولُ الله ﷺ شَهَادَتَهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [خ(٤٧٨٤)، وت(٣٠١٣، ٣١٠٤)]

١١٢٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنهما - أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ وهُوَ في قُبَّةٍ يومَ بَدْرٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ». فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رسُولَ اللهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ يَثِبُ في الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وهُو يقولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. [خ(٤٨٧٥)، حم(٣٢٩/١)]

١١٢٨- عن ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - عن النَّبي ﷺ قال: «قال اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي ولَم يَكُنْ له ذَلِكَ، فَأَمَّا تكذيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لي وَلَدٌ. فَسُبْحاني أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أو وَلَدًا». [خ(٤٤٨٢)]

١١٢٩- عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قالَتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ في مَرَضِهِ الذي مَاتَ فيه: «يا عائشةُ مَا أَزالُ أَجِدُ أَلَمَ الطعامِ الَّذي أكلتُ بخيبرَ فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ». [خ(٤٤٢٨)]

١١٣٠- عن أبي هريرَة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُم، فَإِنْ أَصَابُوا فلَكُم، وإنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَليهم»[٤]. [خ(٦٩٤)، حم(٣٥٥/٢)]

١١٣١- عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثَرْتُ[٥] عَلَيْكُم في السِّوَاكِ». [خ(٨٨٨)، ن(٦)]

١١٣٢- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان النبيُّ ﷺ إذا اشْتَدَّ البَرْدُ بَكَّرَ بالصلاةِ، وإذا اشتدَّ الحرُّ أَبْرَدَ بالصلاةِ يعني الجُمُعَةَ». [خ(٩٠٦)، ن(٤٩٩)]

١١٣٣- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنَّ النبي ﷺ سَجَدَ بالنَّجمِ وسَجَدَ مَعَهُ المسلمونَ والمشركونَ والجِنُّ والإنسُ». [خ(١٠٧١، ٤٨٦٢)، ت(٥٧٨)]

١١٣٤- عن ثمامة بن عبد الله بنِ أَنَس قال: حَجَّ أَنَسٌ رضي الله عنه عَلَى رَحْلٍ ولم يكن شَحِيحًا وحَدَّثَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ حَجَّ على رَحْلٍ وكانتْ زَامِلَتَه»[٦]. [خ(١٥١٧)، جه(٢٨٩٠)]

١١٣٥- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «كَأَنِّي بِهِ[٧] أَسْوَدَ أَفْحَجَ[٨] يَقْلَعُها حَجَرًا حَجَرًا». [خ(١٥٩٥)، حم(٢٢٨/١)]

١١٣٦- عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قَدِمَ من سفرٍ فأبصر دَرَجَاتِ المدينة أَوْضَعَ[٩] ناقته، وإن كانت دابةً حَرَّكَها». [خ(١٨٠٢، ١٨٨٦)، ت(٣٤٤١)]

١١٣٧- عن عائشة - رضي الله عنها - أن قومًا قالوا: يا رسول الله إن قومًا يأتونَنَا باللحم لا ندري أَذَكَرُوا اسمَ اللهِ عليه أَمْ لا ؟ فقال رسول الله ﷺ: «سَمُّوا اللهَ عليه وكُلُوا». [خ(٢٠٥٧، ٥٥٠٧، ٧٣٩٨)، ن(٤٤٣٦)، د(٢٨٢٩)، جه(٣١٧٤)]

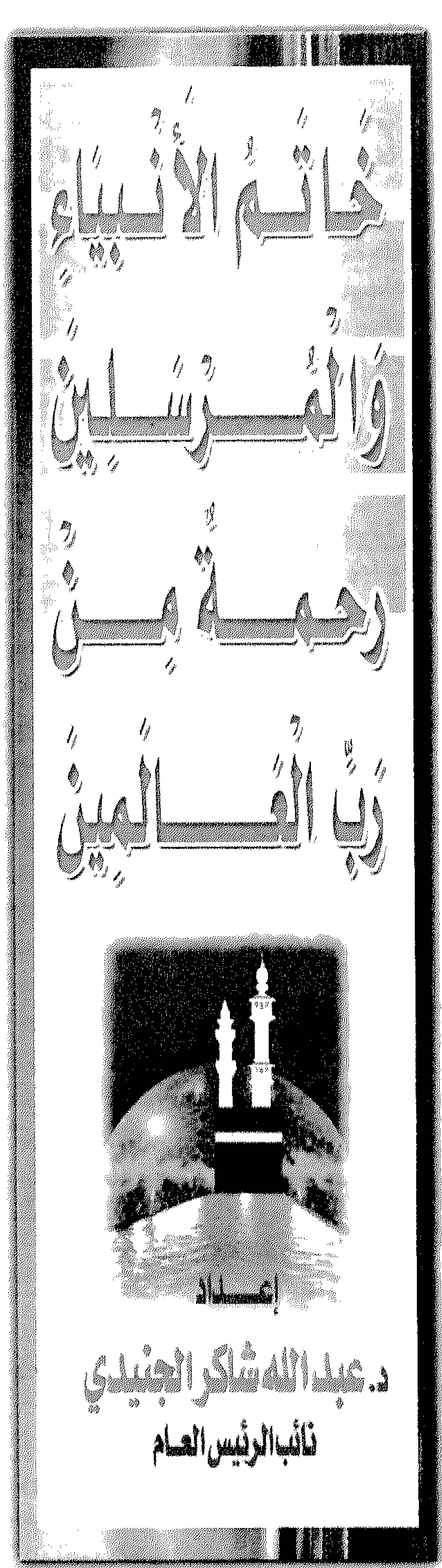
١١٣٨- عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نهى النبي ﷺ عن المُحَاقَلَةِ[١٠] والمُزَابَنَةِ[١١]. [خ(٢١٨٧)]

١١٣٩- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: نهى النبيُّ ﷺ عَنْ كَسْبِ الإِمَاءِ. [خ(٢٢٨٣، ٥٣٤٨)، د(٣٤٢٥)]

١١٤٠- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: نهى النبي ﷺ عن عَسْبِ[١٢] الفحل. [خ(٢٢٨٤)، د(٣٤٢٩)، ت(١٢٧٣)]

---

(١) يحثي: الحثية هي الأخذ باليد. (٢) مستحاضة: الاستحاضة جريان الدم من فرج المرأة في غير أوانه. (٣) الحُفالة: الحُثالة، والمراد بها الرديء من كل شيء.
(٤) أي الأئمة المحدثون إذا صلوا بقوم تصح صلاة المأمومين وعليهم الإعادة. (٥) أكثرت: أي بالغت في تكرير طلبه منكم. (٦) الزاملة: الرحل يحمل عليه الطعام والمتاع. (٧) أي: ذو السويقتين من الحبشة. (٨) أَفْحَج: الفَحَجُ: تباعُدُ ما بين الفخذين. (٩) أَوْضَعَ: أوضع الناقة: حملها على سرعة السير. (١٠) المحاقلة: بيع الطعام في سنبله بالبر، وقيل غير ذلك. (١١) المزابنة بيع الرُّطب في رؤوس النخل بالتمر. (١٢) عسب الفحل: لقاح الذكر من كل حيوان.



الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فقد بدأت هذه السلسلة المباركة بالحديث عن وجوب نصرة النبي ﷺ، وتعظيمه وتوقيره، وذكرت شيئًا من خلاله الجميلة وآدابه العالية الرفيعة، ثم تعرضت لتكريم الله له بأخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين بالدخول في دينه ومتابعته إذا بعث وأحدهم موجود، كما أشرت إلى بعض البشارات الناطقة بنبوته من كتب اليهود والنصارى، وبعض من آمن من هؤلاء بنبوته ورسالته، وأنتقل الآن لأذكر آيات أخرى عظيمة تدل على صدق نبوته وعظمة رسالته ﷺ، وهي آيات كثيرة ومتنوعة، وقد أوتي منها أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ولقد سمى الله تبارك وتعالى في كتابه ما يجريه على يد أنبيائه ورسله بالآيات كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، وقال سبحانه في حق النبي ﷺ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ٤، ٥]، وقد اصطلح العلماء على تسمية الآيات التي يجريها الله على يد أنبيائه بالمعجزات؛ لأن لفظ المعجز يدل على أنه أعجز غيره[١]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، والمعجزة في اللغة اسم فاعل من الإعجاز، والإعجاز مصدر للفعل «أعجز» يقال: عجز فلان عن الأمر وأعجزه الأمر إذا حاوله فلم يستطعه ولم تتسع له مقدرته وجهده[٢]، والمعجزة في الشرع: «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»[٣]، فالمعجزة إذًا أفعال يعجز البشر بأنفسهم عن مثلها، ومن هنا سميت معجزة، - هي - إما أن تكون حسية تجابه الحواس، وأغلب المعجزات التي وقعت للأنبياء السابقين كانت من هذا النوع، وإما أن تكون المعجزة عقلية، تواجه العقل وتخاطب ما فيه من إدراك واستبصار، وكانت أعظم معجزات النبي ﷺ من هذا النوع. يقول السيوطي - رحمه الله-: «وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر»[٤].

تأييد الله لرسله بالآيات

ومن المعروف في تاريخ الأديان أن الله تعالى كان يؤيد كل رسول أرسله بآيات عظيمة باهرة تدل على صدقه، وتدفع إلى قبول قوله، ويتحدى بها قومه بصورة لم يسبقه أحد إليها، ولم ينكشف للناس شيء من وجهها قبل أن تطلع عليهم، بل إن بعض الأنبياء كان يحمل إلى قومه أكثر من معجزة، فموسى عليه السلام - أيده الله بكثير من المعجزات أشار القرآن إليها في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وفوق هذه المعجزات معجزة العصا التي كان يلقيها من يده فتنقلب حية تسعى، ويضرب بها البحر فينفلق، ويضرب بها الحجر فينفجر منه الماء، وعيسى -

عليه السلام - كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، كما كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وقد ذكر الله ذلك في قوله: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

اختلاف المعجزات في أجيال الناس

واختلاف المعجزات في أجيال الناس مما اقتضته دواعي الحكمة التي جاءت المعجزة من أجلها، ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، وإذا كانت غاية المعجزة أن يُرى فيها صدق الرسول وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لابد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من تلقاهم وتتحداهم، ولهذا كانت المعجزة لازمة للرسول المرسَل من قبل الله، لأنه يحمل رسالة فريدة من الله إلى الناس، يدعوهم فيها إلى أمور تتغير بها معالم حياتهم الروحية والعقلية، بل والمادية، فهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده وإخلاص الدين له، وترك جميع المعبودات الباطلة التي لا تملك لنفسها شيئًا دونه، فكيف تملك لغيرها، كما يدعوهم إلى الالتزام بشريعة ربانية بها تستقيم حياتهم ويسعد عيشهم، ومع أن معجزات الأنبياء كانت قاهرة باهرة إلا أن كثيرًا من الناس قابلوها بالتكذيب والارتياب والعناد، فاليهود كذبوا بمعجزات موسى مع كثرتها، وقالوا لنبيهم كما ذكر القرآن عنهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، كما لم يقتنعوا بمعجزات عيسى التي أحيت الأموات. ومشركو العرب لم يسلموا للقرآن مع أنه أخذ بمجامع قلوبهم واستولى على عقولهم وطلبوا غيره من المعجزات كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، وقد قابل هؤلاء المكذبين فريقٌ اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم لآيات الأنبياء، فسلموا بها وخضعوا لرب الأرض والسماوات، وكانت المعجزة الكبرى التي أيدَّ الله بها نبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله ﷺ «القرآن الكريم»، وهو وإن أجرى الله على يديه معجزات حسية كثيرة - سيأتي الإشارة إلى بعضها - إن شاء الله - إلا أن القرآن الكريم هو أعلاها وأشرفها، فهو المعجزة الباقية الخالدة، وكفى به من معجزة، وما كان ينبغي للكافرين أن يبحثوا عن معجزة أخرى معه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ [العنكبوت: ٥٠، ٥١]، فهاتان الآيتان بينتا كثرة جهل المشركين وسخافة عقولهم، حيث طلبوا آيات تدل على صدق الرسول ﷺ، وقد جاءهم بالقرآن الذي هو أعظم من كل معجزة، وهو وحده آية وعلامة من أعلام نبوته ﷺ ، ويغني عن معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء - صلوات الله عليهم - قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره للآية: «أي: أولم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحدًا من أهل الكتاب، وجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى، وبيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الجلي كما قال تعالى:

إن الخوارق في العادة تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ﷺ ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن هو نفسه الوحي المدّعي، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي

﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٧] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى ﴾ [طه: ١٣٣](٥)؟

دلالة القرآن دلالة عامة عمّت الثقلين

ويقول القاضي محمد بن الطيب الباقلاني - رحمه الله-: «الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا محمد ﷺ بُنيت على هذه المعجزة «القرآن الكريم»، وإن كان قد أُيّد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة، وأحوال خاصة، وعلى أشخاص خاصة، فأما دلالة القرآن فهي معجزة عامة عمت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها من أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد سواء» (٦)، وكلام الباقلاني - رحمه الله - دقيق وجميل، وفيه إشارة لطيفة إلى أن القرآن متجدد على الدوام يخاطب جميع العقول في كل العصور، ويقيم الحجة على العباد بما اشتمل عليه من آيات. ويقول ابن خلدون: «اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالةً «القرآن الكريم» المنزل على نبينا محمد ﷺ ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ﷺ ، ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن هو نفسه الوحي المدَّعي، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه، ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو واضح الدلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنى قوله ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحي إليَّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(٧)، وهو يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة، وهو كونها نَفْسَ الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة»(٨)، والرسول ﷺ في حديثه السابق يبين عظمة المعجزة القرآنية التي هي وحي يوحى، أي شيء يدرك بعين البصيرة، فيهتدي إليه العقل ويصلح به القلب، وتستقيم به الدنيا والدين.

إنه لا توجد آية في كتاب الله إلا وفيها دلالة واضحة على أن القرآن الكريم هو كتاب الله وكلامه، ومن هنا يكثر أتباع هذه الرسالة، إذ هي رسالة كل إنسان، ووحي إلى كل عقل، لا يحصرها زمان ولا يحدها مكان، ونحن نسمع ونشاهد بين الحين والآخر أفرادًا وجماعات يدخلون في دين الإسلام بسبب نور هذا القرآن، وسأتناول في اللقاء القادم - إن شاء الله - بعض أوجه الإعجاز في كتاب الله.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

لا توجد آية في كتاب الله إلا وفيها دلالة واضحة على أن القرآن الكريم هو كتاب الله وكلامه، ومن هنا يكثر أتباع هذه الرسالة، إذ هي رسالة كل إنسان ووحي إلى كل عقل لا يحصرها زمان ولا يحدها مكان

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ج٦٩/٤ .
(٢) إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب ص٧١ .
(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١٤٨/٢ .
(٤) المرجع السابق ج١٤٨/٢، ١٤٩ .
(٥) تفسير ابن كثير ج٢٩٧/٤ .
(٦) إعجاز القرآن على هامش الإتقان ج١١/١، ١٢ .
(٧) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ج٣/٩، ومسلم في كتاب الإيمان وغيرها.
(٨) مقدمة ابن خلدون ص٩٥ .



الحمد لله، إن الحكم إلا لله يقصُّ الحق وهو خير الفاصلين، وأشهد ألا إله إلا الله الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، والصلاة والسلام على رسول الله، الذي لا علم له إلا ما علمه الله إياه، وقال له ربه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] أما بعد:

فها نحن ننتقل معك أخي القارئ إلى موقف آخر من مواقف بني إسرائيل في كتاب الله من خلال قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

وسنلقي إن شاء الله تعالى نظرة إجمالية حول هذه الآيات من خلال ثلاثة محاور:

أولاً: الحديث هنا عن بني إسرائيل ويُفهمُ ذلك من السياق السابق واللاحق، فالآيات السابقة تتحدث عن بني إسرائيل وعداوتهم لجبريل الذي جاء بالحق من عند الله ونزل به على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخاتمهم محمدٌ ﷺ، بل الآية السابقة مباشرة تتحدث عن تكذيبهم لمحمد ﷺ الذي جاءهم بالحق المصدق لما هو معهم من بقايا التوراة بعد تحريفها، ومع ذلك نبذوا كتاب الله الذي معهم - البقايا التي معهم - وكذلك نبذوا كتاب الله الحق الذي أنزله على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

والحديث هنا عن يهود المدينة الذين هم امتداد لأسلافهم من أصحاب السبت، قال صاحب «نظم الدرر»: «ولما توالى الإنكار من بني إسرائيل أدَّى بهم إلى اتباع الشياطين في كذبهم على سليمان عليه السلام، ولما كانت

سنة الله الجارية بأنه ما أمات أحدٌ سنةً إلا زاد في خذلانه بأن أحيا على يديه بدعة، أعقبهم نبذهم لكلام الله إقبالهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى الأعداء». اهـ.

وحول هذا المعنى قال الشيخ السعدي في تفسيره عند هذا الموضع: «ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه مع إمكانه من الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضرُّه، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله، أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذلَّ لربه ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل، كذلك هؤلاء اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان، حيث أخرجت الشياطينُ للناس السحر وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله، وبه حصل له الملك العظيم، وهم كذبة في ذلك، وقد نزه الله سبحانه سليمان عن ذلك». اهـ مع تصرف يسير.

ثانيًا: المعنى الإجمالي للآيات الكريمة وهو ملخص للقصة كما اتفق عليه كثير من أهل التفسير سلفًا وخلفًا، ولعله خلاصة الراجح في القصة، واتبع اليهود ما تُحَدِّث الشياطين به السحرة على عهد سليمان عليه السلام، وما كفر سليمان وما تعلم السحر، ولكن الشياطين هم الذين كفروا بالله حين علموا الناس السحر؛ إفسادًا لدينهم.

وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أُنزل على الملكين هاروت وماروت بأرض بابل بالعراق والذي جعله الله ابتلاءً منه لعباده.

والملكان لا يعلمان أحدًا السحر حتى ينصحاه ويحذراه من تعلّم السِّحر ويقولا له: لا تكفر بتعلُّم السحر وطاعة الشياطين، فيتعلم الناس من الملكين ما يُحْدِثون به الكراهية بين الزوجين حتى يتفرقا.

لكن الأمر المؤكد هو أن السحرة وسحرهم لن يتمكنوا من ضرر أحد إلا بإذن الله وقضائه، وما يتعلم السحرة إلا شرًا يضرهم ولا ينفعهم، وقد نقلته الشياطين إلى اليهود، فشاع فيهم حتى فضلوه على كتاب الله، ولقد علم اليهود أن من اختار السحر وترك الحق فليس له في الآخرة من الخير نصيب، وبئس فعل القوم ما اختاروه من السحر والكفر عوضًا عن الإيمان ومتابعة الرسول الذي جاء بالحق مصدقًا لما معهم من بقايا الحق، ولو أنهم آمنوا بالله واتبعوا رسوله النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة لكان خيرًا لهم في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: لقد وقع اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ فيما وقع فيه أسلافهم من قبل من أصحاب السبت في كتمانهم الحق وتحريفه وتبديله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ولذا حذرهم الله أن يصيبهم ما أصاب أسلافهم من أصحاب السبت، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [النساء: ٤٧]، ويهود المدينة ضلُّوا وأرادوا الضلال لغيرهم، إذن فها هو تاريخ بني إسرائيل سلسلة من الانحرافات على مر الزمن - إلا فترات يسيرة - مستمرة إلى يومنا هذا وإلى أن يأتي أمر الله.

هذا، وقد قدَّمنا في هذا المقال عرضًا مجملاً للقصة، وإلى مزيد من التفاصيل والأحكام والدروس المستفادة في لقاءات تالية بإذن الله.

فإلى ذلك نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حدث في مثل

١. زواج علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها سنة ٢هـ

في هذه السنة تزوج علي - رضي الله عنه - فاطمة في صفر سنة اثنين، فولدت له الحسن والحسين، ويقال: ومحسن، وولدت له أم كلثوم وزينب، وقد تزوج عمر بن الخطاب في أيام ولايته بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة وأكرمها إكرامًا زائدًا أصدقها أربعين ألف درهم لأجل نسبها من رسول الله ﷺ، فولدت له زيد بن عمر بن الخطاب، ولما قُتل عمر بن الخطاب تزوجها بعده ابن عمها عون بن جعفر فمات عنها، فخلف عليها أخوه محمد فمات عنها، فتزوجها أخوهما عبد الله بن جعفر، فماتت عنده، وقد كان عبد الله بن جعفر تزوج بأختها زينب بنت علي وماتت عنده أيضًا، وتوفيت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر على أشهر الأقوال، وهذا الثابت عن عائشة في الصحيح. [البداية والنهاية لابن كثير: ٣٠٩/٥ بتصرف]

٢. زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها سنة ٥هـ

تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش في صفر من السنة الخامسة، يونيه ٦٢٦م، وهي أخت عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكانت قديمة في الإسلام، تزوجها رسول الله ﷺ بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه.

كان زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى خديجة رضي الله عنها وهبته لرسول الله ﷺ قبل البعثة، وهو ابن ثماني سنوات، فأعتقه وتبناه، وكانوا يدعونه زيد ابن محمد ﷺ، وقد زوجه رسول الله ﷺ بنت عمته «زينب بنت جحش رضي الله عنها»، ثم طلقها زيد رضي الله عنه، وبعد أن انقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ لإبطال عادة التبني، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] فكان يدعى بعد ذلك زيد بن حارثة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد كان الله أوحى إلى رسوله ﷺ أن زيدًا رضي الله عنه سيطلق زوجته ويتزوجها بعده، إلا أن النبي ﷺ بالغ في الكتمان، وقال لزيد: «أمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله على ذلك حيث قال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾، وهو عتاب على ترك الأولى، وكان الأولى في مثل ذلك أن يصمت عليه الصلاة والسلام، أو يفوض الأمر إلى رأي زيد رضي الله عنه، ولم يبادر النبي ﷺ بما أوحي إليه من تطليق زيد لزينب مخافة طعن الأعداء والمنافقين، فعوتب عليه.

وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجني الله من السماء.

وأولم عليها رسول الله ﷺ بخبز ولحم، وكانت امرأة صالحة صوّامة قوّامة، كثيرة الخير، تعمل بيدها وتتصدق به، وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب، وهي وقتئذ بنت خمس وثلاثين سنة، وبسبب زينب نزل الحجاب.

توفيت - رضي الله عنها - وهي بنت ثلاث وخمسين سنة، وهي أول نساء رسول الله ﷺ موتًا بعده، فماتت وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل: هي أول امرأة صُنع لها النعش، ودفنت بالبقيع فيما بين دار عقيل ودار ابن الحنفية.

٣. إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ٧هـ

كان خبر إسلام خالد أن عمرو بن العاص لما عاد من الحبشة بعد مقابلة النجاشي لقي خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، قال عمرو بن العاص: فقلت له: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم، أي: تبين الطريق وظهر الأمر، وإن الرجل لنبي، أذهبُ والله فأُسلم، فحتى متى؟! قلت: والله ما جئتُ إلا لأسلم، فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد.

قال خالد بن الوليد: «لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام، وحضر لي رشدي، وقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أني مُوضَع في غير شيء وأن محمدًا سيظهر، فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب إليّ كتابًا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام،

هذا الشهر

وعقلك عقلك، أوَ مثل الإسلام يجهل أحد ؟! قد سألني رسول الله ﷺ عنك، فقال: «أين خالد؟» فقلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له ولقدمناه على غيره»، فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة».

قال خالد: فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيت أخي، فقال: أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سُرَّ بقدومكم وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فأطلعت عليه، فمازال رسول الله ﷺ يبتسم حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «الحمد لله الذي هداك، وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير». قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك. فقال ﷺ: «الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله».

٤.قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طال رحمه الله. سنة ١٢٢هـ

وفيها في صفر قُتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي انتسبت إليه الطائفة الزيدية في قول الواقدي. وقال هشام الكلبي: إنما قتل في صفر من سنة ثنتين وعشرين، فالله أعلم. وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعًا للواقدي وهو: أن زيدًا هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله: هل أودع خالد القسري عندك مالاً وهو يشتم آبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأحلفه أنه ما أودع عنده شيئًا، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالد من السجن فجيء به في عباءة فقال: أنت أودعت هذا شيئًا تستخلصه منه ؟ قال: لا؛ وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة، فتركه. وأعلم أمير المؤمنين بذلك فعفا عن ذلك، ويقال: بل استحضرهم فحلفوا بما حلفوا.

ثم إن طائفة من الشيعة التفت على زيد بن علي وكانوا نحوًا من أربعين ألفًا، فنهاه بعض النصحاء عن الخروج وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وقال له: إن جدك خير منك وقد التفت على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفًا ثم خانوه أحوج ما كان إليهم وإني أحذرك من أهل العراق، فلم يقبل، بل استمر يبايع الناس في الباطن في الكوفة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى استفحل أمره بها في الباطن وهو يتحول من منزل إلى منزل، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة فكان فيها مقتله.

٥.فتنة عظيمة بين الفقهاء سنة ٥٦٠هـ

في صفر سنة ٥٦٠هـ وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أيامًا وقتل فيها خلق كثير، وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة، وذكر ابن الجوزي أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد.

٦.حصار الفرنج مدينة دمياط سنة ٥٩٥هـ

في صفر من هذه السنة حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يومًا، حيث ضيقوا على أهلها وقتلوا أممًا كثيرة جاءوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفًا من استيلاء المسلمين على القدس، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده عليهم ويطلب منه أن يرسل إليه بأمداد من الجيوش فإنه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقوون بها على أخذ مصر، فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة يتبع بعضها بعضًا، ثم إن نور الدين اغتنم غيبة الفرنج عن بلدانهم فصمد إليهم في جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم وغنم من أموالهم وقتل وسبى شيئًا كثيرًا، ومن جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب في جيش من تلك الجيوش ومعه بقية أولاده، فتلقاه الجيش من مصر وخرج العاضد لتلقيه، ولما انجلت الفرنج من دمياط فرح نور الدين فرحًا شديدًا، وانشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيدًا، وقد كان الملك نور الدين شديد الاهتمام قوي الاغتمام بذلك حتى قرأت عليه بعض طلبة الحديث جزءًا في ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه أن يبتسم ليصل التسلسل فامتنع من ذلك، وقال: إني لأستحي من الله أن يراني مبتسمًا والمسلمون محاصرون بثغر دمياط.

[البداية والنهاية لابن كثير، بتصرف]

فكيف بحال ملوك المسلمين اليوم!! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١- النهي عن النفخ في الأشربة

سألَهُ ﷺ رجلٌ، فقالَ: لا أرْوَى مِنْ نفسٍ واحدةٍ، قالَ: (فَأَبِنِ القدحَ عن فِيْكَ، ثم تنفَّسْ). قالَ: فإنِّي أرى القَذَاةَ فيه، قالَ: (فأهرِقْها) ذكره مالكٌ. [الموطا: (٢/ ٩٢٥) رقم (١٦٥٠)]

وعندَ التِّرمذيِّ أنَّهُ- ﷺ- نهى عن النَّفخِ في الشَّرابِ، فقالَ رجلٌ: القَذَاةُ أراها في الإناءِ، قالَ: (أهرِقْها). قالَ: إني لا أروى من نفسٍ واحدةٍ، قال: (فَأَبِنِ القدحَ إذنْ عن فِيْكَ) حديثٌ صحيحٌ.

[سُنن التِّرمذيِّ (٤/٢٦٨) رقم (١٨٨٧)، وحَسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرمذيِّ» برقم (١٥٣٨)]

٢- كلُّ مسكرٍ حرامٌ

وسُئِلَ- ﷺ- عن الْبِتْعِ، فقال: (كُلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرامٌ) متفق عليه.

وسألَهُ ﷺ أبو مُوسى، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أفتنا في شَرابينِ كُنَّا نصنعُهما باليمنِ: الْبِتْعِ: وهُو مِنَ العَسَلِ يُنبَذُ حتَّى يَشْتَدَّ، والمِزْرُ: وهُو مِنَ الذُّرةِ والشَّعيرِ يُنبَذُ حتَّى يشتدَّ، فقال: (كُلُّ مسكرٍ حرامٌ).

[متفق عليه]

٣- الخمر ليس بدواء، ولكنه داء

وسأله ﷺ طارقُ بنُ سُوَيدٍ عن الخمرِ، فنهاه أنْ يصنعَها، فقالَ: إنَّما أصنعُها للدواءِ، فقالَ: (إنَّهُ ليس بدواءٍ، ولكنَّهُ داءٌ).

[رواه مُسلم: (٣/١٥٧٣) رقم (١٩٨٤)]

وسأله- ﷺ- رجلٌ من اليمنِ عن شرابٍ بأرضِهم يُقال له المِزْرُ، قال: (أمسكرٌ هو؟) قال: نعم، فقالَ رسولُ اللهِ- ﷺ-: (كُلُّ مسكرٍ حرامٌ، وإنَّ على اللهِ عهداً لِمَن شربَ المسكرَ أنْ يسقيَهُ من طينةِ الخَبَالِ). قالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، وما طينةُ الخبالِ؟. قالَ: (عَرَقُ أهلِ النَّارِ)، أو قال: (عُصارةُ أهلِ النَّارِ).

[رواه مُسلمٌ (٣/١٥٨٧) رقم (٢٠٠٢)]

وسألَهُ- ﷺ- رجلٌ مِنْ عبدِ قيسٍ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ما ترى في شرابٍ نصنعُهُ في أرضِنا من ثمارِنا؟، فأعرضَ عَنْهُ، حَتَّى سأله ثلاثَ مراتٍ، حَتَّى قامَ يُصلِّي، فلما قضى صلاتَهُ قالَ: (لا تشربْهُ، ولا تسقِهِ أخاكَ المُسلم، فوالذي نفسي بيده- أو والذي يُحلفُ به- لا يشربُهُ رجلٌ ابتغاءَ لذةِ سكرٍ، فيسقيه اللهُ الخمرَ يومَ القيامةِ). [رواه أحمدُ والطبرانيُّ. ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ (٥/٧٠)]

وسُئِلَ ﷺ عن الخمرِ تُتخذُ خَلّاً، قالَ: (لا).

[صحيح مُسلم: (٣/١٥٧٣) رقم (١٩٨٣)]

وسأله- ﷺ- أبو طلحةَ عن أيتامٍ وَرِثُوا خمراً، فقالَ: (أهرِقْها)، قال: أفلا نجعلُها خَلّاً؟. قال: (لا). ذَكَرَهُ أحمدُ.

[المسند: من حديث أنس بن مالك (٤/١١٩)، ورواه أبو داود، وصححه الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» برقم (٣١٢٢)]

وفي لفظٍ: أنَّ يتيماً كان في حِجْرِ أبي

طلحةَ، فاشترى له خمراً، فلمَّا حُرِّمتِ الخمرُ، سَأَلَ النبيَّ- ﷺ-: أيتخذها خَلًّا؟، قال: (لا).

[سُنَن الدَّارَقُطنيّ (٤/٢٦٢) رقم (٤)]

وسألَهُ ﷺ قومٌ، فقالُوا: إنَّا ننتبذُ نبيذاً نشربُهُ على غدائِنا وعشائِنا،وفي رواية على طعامِنا، فقالَ: (اشربُوا واجتنبُوا كلَّ مُسكرٍ)، فأعادُوا عليه، فقالَ: (إنَّ الله ينهاكُم عن قليلِ ما أسكرَ وكثيرِهِ).

[صححه الألبانيُّ،انظر:«صحيح سُنَن النَّسائيِّ »برقم (٥١٨١)]

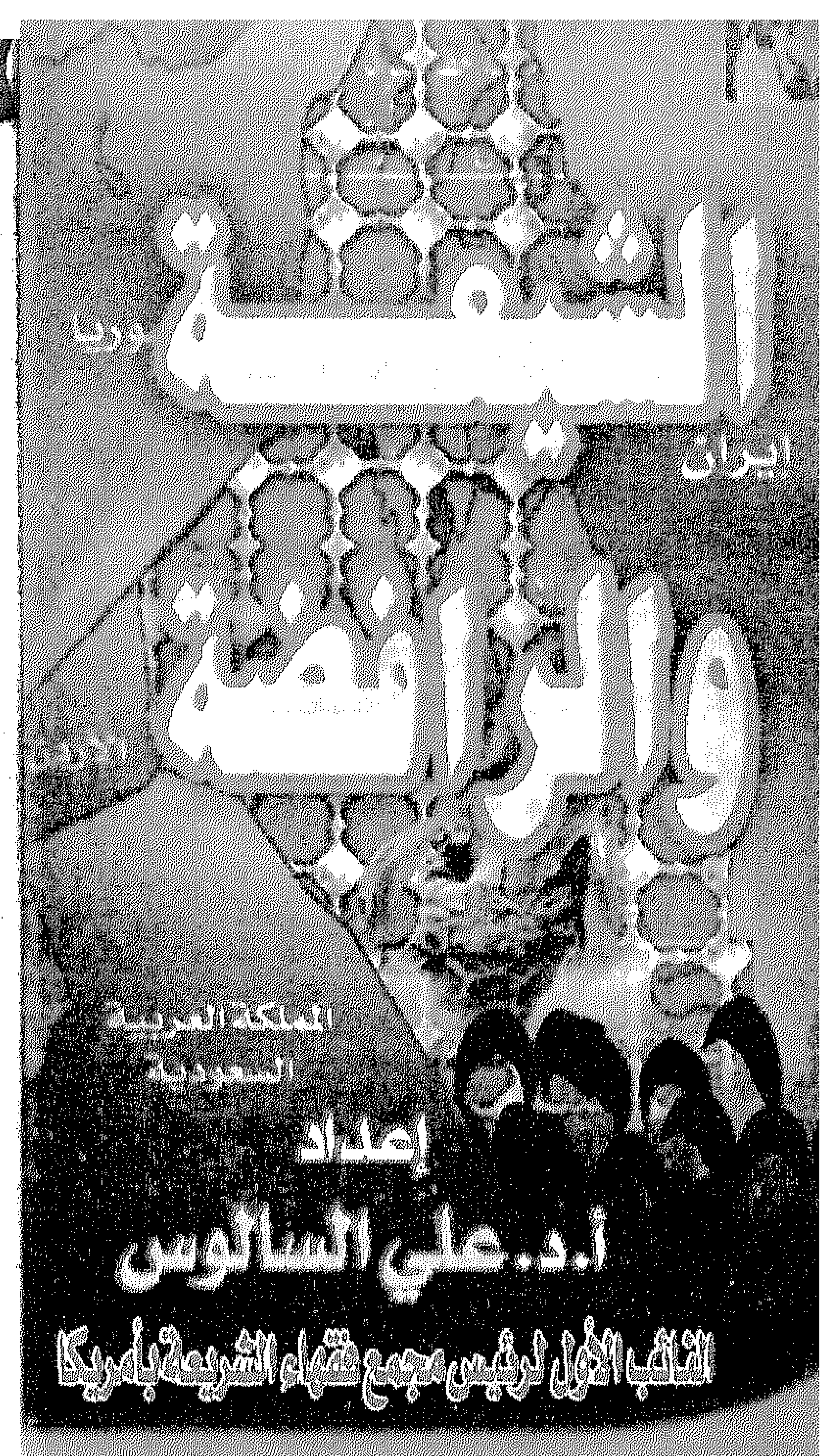
وسألَهُ ﷺ عبدُ الله بن فيروز الديلميُّ- رضي الله عنهما-، فقالَ: إنَّا أصحابُ أعنابٍ وكَرْمٍ، وقد نزل تحريمُ الخمرِ، فما نصنعُ بها؟، قال: (تتخذونه زبيباً)، قال: نصنعُ بالزَّبيبِ ماذا؟، قال: (تنقعونه على غدائِكم وتشربونه على عشائِكم، وتنقعونه على عشائِكم وتشربونه على غدائِكم)، قالَ: قلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نحن ممن قد علمتَ، ونحن بين ظهراني مَنْ قد علمتَ، فمَن وليُّنا؟!، فقالَ: (اللهُ ورسولُهُ)، قال: حسبي يا رَسُولَ اللهِ. رواه أحمدُ في «المسند» (٤/ ٢٣٢)، وأورده الشَّيخُ مُقبل الوادعيُّ في كتابه «الصَّحيح المسند مما ليس في الصَّحيحين» رقم (١٠٧٥) بلفظ: (عن عبدِ الله بن فَيروز الديلميِّ، عن أبيه، أنهم أسلمُوا وكان فيمن أسلم، فبعثوا وفدَهم إلى رسولِ اللهِ- صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وسلَّمَ- ببيعتِهم وإسلامِهم، فقبل ذلكَ رسولُ اللهِ-صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ- منهم، فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، نحن مَن قد عرفتَ، وجئنا من حيثُ قد علمتَ، وأسلمنا، فمن وليُّنا؟، قال: (اللهُ ورسولُهُ)، قالُوا: حسبُنا، رضيناهُ).

العقيقة

وسُئل ﷺ عن العقيقة، وكأنه كره الاسم، وقال: «من وُلِدَ له مولودٌ، فأحبَّ أن ينسكَ عنهُ فليفعل». [رواه أحمد وعنده(١) أيضًا: أنه سئل ﷺ عن العقيقة، فقال: «لا يحبُّ الله العقوق». كأنه كره الاسم، قالوا: يا رسول الله، إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد، قال: «من يولد له ولد؛ فأحب أن ينسك عنه فلينسك، عن الغلام شاتان مكافأتان، وعن الجارية شاة».

١- المسند بلفظ: سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: «لا أحب العُقوق، ومن ولد له مولودٌ، فأحب أن ينسك عنه فليفعل؛ عن الغلام شاتان مكافأتان، وعن الجارية شاة». [(٢/١٩٣)، ورواه أبو داود في «السنن»، كتاب الضحايا، باب العقيقة، وأورده الألباني في صحيح أبي داود برقم (٢٤٦٧)]

(١) رواه النَّسائيّ، وقال الألباني: صحيح الإسناد. انظر «صحيح سنن النَّسائيّ» برقم (٥٢٩٢).



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه، وبعد:

فيخلط كثير من المسلمين بين الشيعة، الذين هم أتباع علي بن أبي طالب وأهل البيت، وبين الرافضة الذين هم أعداء أهل البيت وهم الذين يعتبرون أتباع عبد الله بن سبأ، الذي عاقبه أمير المؤمنين لأقواله الفاجرة.

فخير الأمة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، وهذا لا خلاف فيه بين السلف الصالح، وإنما وقع الخلاف في تفضيل عثمان أو علي، وآل البيت الأطهار ومن شايعهم ربما فضلوا عليًا، ولكن ليس منهم من فضل عليًا على الشيخين: فابن أبي طالب هو نفسه فضل الشيخين.

فقد روى البخاري بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي - أي علي بن أبي طالب-: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وروى البخاري هذا الأثر في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً». والأثر يشير إلى الحديث الذي رواه البخاري: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر».

وقد تواتر عن علي رضي الله عنه من الوجوه الكثيرة أنه قال على منبر الكوفة، وقد أسمع من حضر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر.

وسأل سائل شريك بن عبد الله بن أبي نمر، فقال له: أيهما أفضل: أبو بكر أو علي ؟ فقال له: أبو بكر. فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: نعم، إنما الشيعي من قال مثل هذا. والله لقد رقي عَلِيٌّ هذه الأعواد، فقال: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، أفكنا نرد قوله ؟ أكنا نكذبه ؟! والله ما كان كذابًا.

فضيلة الشيخين من لسان علي رضي الله عنه

والحاكم وهو من الشيعة غير الرافضة، تحدث في الجزء الثالث من كتابه المستدرك (ص٦٨) عن فضيلة الشيخين من لسان علي رضي الله عنه، فروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما وضع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على سريره، فَتَكَنَّفَهُ الناس يدعون له وأنا فيهم - أي ابن عباس - فجاء علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: إنْ كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيرًا أسمع رسول الله ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وإني كنت أظن أن يجعلك الله معهما». ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. [وقد أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٨٥)]

وروى من عدة طرق حديثًا نصه: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر». وصححه ووافقه الذهبي، ثم أفاض في بيان صحة هذا الحديث (ص٧٥).

ثم أخرج حديثًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سل لنا رسول الله ﷺ إلى من ندفع صدقاتنا بعدك ؟ قال: فأتيته فسألته، فقال: «إلى أبي بكر»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (ص٧٧).

وعن عائشة قالت: «لو كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لاستخلف أبا بكر وعمر». وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي (ص٧٨).

وعن أبي وائل قال: «قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا ؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فيسجمعهم بعدي

على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم». يعني أبا بكر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (ص٧٩).

التمهيد لخلافة أبي بكر رضي الله عنه

هذا بعض ما جاء في كتاب المستدرك للحاكم، الذي يُعد من رواة الشيعة غير الرافضة إلى جانب ما جاء في الصحيحين. مما يثبت أن الرسول ﷺ لم يستخلف، غير أنه مَهَّدَ لخلافة أبي بكر بهذه الأقوال.

كما مَهَّدَ لخلافته أيضًا بالأفعال، ومنها أنه جعله أمير الحج في العام التاسع، ولما أرسل عليًا بسورة براءة لم يرسله أميرًا، بل جعله تحت إمرة الصديق.

ومنها إمامته المسلمين في الصلاة عندما اشتد المرض بالرسول ﷺ، ولم يستطع أن يؤمهم، وظل المسلمون وفيهم علي مأمومين خلف أبي بكر إلى أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

هذه الأقوال والأفعال تثبت أن الرسول ﷺ لم يستخلف عليًا ولا غير علي، فمن أين جاءت فكرة الاستخلاف؟

أول من قال بالاستخلاف، وأن عليًا هو الوصي بعد النبي ﷺ، أول من قال هذا عبد الله بن سبأ، الذي كان يهوديًا وأظهر الإسلام ليكيد للإسلام وأهله، وهذا ما ترويه كتب الشيعة أنفسهم إلى جانب كتب أهل السنة، وهو أول من أظهر البراءة من الشيخين، وكفر الصحابة.

والرافضة هم الذين يرفضون إمامة الشيخين، ويقولون بمقولة ابن سبأ فيهما وفي جمهور الصحابة.

وعندما جاء رهط من الشيعة لمحمد ابن الحنفية، وطلبوا منه الطعن في الشيخين. قال: لا أقول فيهما إلا خيرًا، وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرًا، فرفضوا قوله، فقال لهم: رفضتموني، ومن وقتها سموا رافضة.

صاحب صندوق الدنيا

الأستاذ أحمد بهجت له في الصفحة الثانية من جريدة الأهرام مقال يومي تحت عنوان «صندوق الدنيا». كتب من قبل مقالين نقل فيهما ما قاله الكاتب أحمد شوقي الفنجري عن الشيعة والسنة، وقد فندت المقالين وبينت ما فيهما من أخطاء جسام في المنهج وفي النتائج، وبينت أن الفنجري لا علم له بالسنة ولا بالشيعة.

ثم فوجئت بستة مقالات متتابعة عن الشيعة، اعتمد فيها الكاتب الكبير على ما قاله أحمد راسم النفيس في كتابه «الشيعة والتشيع لأهل البيت».

والدكتور أحمد راسم النفيس طبيب، فهو بعيد عن هذا المجال، وفي بعض مواقع «الإنترنت» نجد صراعًا بينه وبين غيره للوصول إلى موقع قيادي بعد أن أعلن تشيعه، وسافر إلى إيران، يتلقى منها ما يتلقاه من يعلنون تشيعهم.

وبدأ المقال الأول بما فيه تناقض واضح وافتراء على المسلمين.

ما ادعته كتب الشيعة الأصلية

فعلى حين دعا إلى التعرف على الأفكار والمعتقدات على الوجه الصحيح من المصادر الأصلية يذكر ما اتفق عليه المسلمون دون الإشارة إلى ما أدخله ابن سبأ في عقيدة الرافضة، فكتبهم الأصلية تنص على أن القول بإمامة اثني عشر إمامًا وعصمتهم تعتبر من شروط الإيمان، فليس بمؤمن من لم يقل هذا، ولذلك فالرافضة يكفرون الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم، ولا يستثنون إلا عددًا يسيرًا، وقد بينت هذا بالتفصيل من مصادرهم الأصلية في كتابي «مع الاثني عشرية في الأصول والفروع - موسوعة شاملة».

وانتقل النفيس بعد ذلك إلى قوله: الصراع بين أبناء المذاهب قضية قديمة، ونقل عن ابن أبي الحديد- وهو رافضيّ مثله - كلامًا كنت أربأ بالأستاذ أحمد بهجت أن ينشره، ففيه اتهام للشافعية بالخيانة والتعاون مع التتار لقتل الحنفية، والثابت أن الذين خانوا الأمة الإسلامية، وتعاونوا مع التتار، كانوا من الرافضة، وأوضح هذا بما جاء في «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير. مما قاله في أحداث سنة ٦٤٢هـ إلى سنة ٦٥٦هـ:

استوزر الخليفة المستعصم ابن العلقمي، وقال ابن كثير عنه: الوزير ابن العلقمي الرافضي قبحه الله، وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين، كان رافضيًا خبيثًا رديء الطوية على الإسلام وأهله.

ابن العلقمي وتدبيره لإضعاف المسلمين

وبيَّن ابن كثير كيف أن ابن العلقمي دبر خطة لإضعاف المسلمين، حيث أنقص الجند من مائة ألف إلى عشرة آلاف فقط حتى لا يستطيعوا الوقوف أمام التتار بعد الوقعة العظيمة سنة ٦٤٣ حيث كسر المسلمون فيها التتار كسرة عظيمة، وبعدها استطاع التتار دخول بغداد، وقتل الخليفة بمعاونة ابن العلقمي، وتحدث غير ابن كثير عن خيانة ابن العلقمي، وما دبره للمسلمين.

أما ابن أبي الحديد الذي نقل عنه النفيس ولم ينقل من المصادر المعتمدة عند أهل السنة فقد قال عنه ابن كثير: كان حظيًا عند الوزير ابن العلقمي، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة في التشيع، وهو من الشيعة الغلاة.

هذا هو ابن أبي الحديد الذي نقل عنه النفيس، وبدلاً من أن يبين خيانة ابن العلقمي الرافضي، نسب الجريمة للشافعية.

تجاهل مواضع الخلافة وواقع نشاط التقريب

ويأتي المقال الثاني ليتحدث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية، وواقع نشاط التقريب يسير بطريقة خاطئة: فدعاة التقريب من أهل السنة يتجاهلون مواضع الخلاف التي يجب أن تحسم حيث تمس جوهر العقيدة، ودعاة التقريب من الشيعة يدعون إلى عقيدتهم، وأضرب هنا مثلين:

الأول: فتوى الشيخ شلتوت التي ذكرت في هذا المقال بجواز التعبد بالمذهب الجعفري، مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية.

فهل المطلوب للتقريب أن نؤمن بقول ابن سبأ في الوصي بعد النبي، ويستتبعه تكفير الصحابة الذين لم يأخذوا بهذا القول ؟

وهل نؤمن بأن اثني عشر إمامًا ولدوا معصومين، يعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ؟ ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم ؟ وهل نؤمن بأن ثلاثة من الإثني عشر أصبحوا أئمة وهم في سن الطفولة: أحدهم في الرابعة، والآخر في السابعة، والثالث في الثامنة، وأن طاعة هؤلاء الأطفال كطاعة الرسول الكريم، وهي من طاعة الله عز وجل ؟

وهل نؤمن بأن الإمام الثاني عشر ولد سنة ٢٦٠هـ وأصبح إمامًا بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سنة ٣٠٠هـ، وأنه لا يزال حتى يومنا حيًا، يرانا ولا نراه، وسيظل حيًا إلى قبيل قيام الساعة؟ إلى غير ذلك مما هو موجود في عقيدة الإثنى عشرية؟ وهل التقريب يمكن أن يتم قبل تنقية عقيدتهم من هذه الخرافات ؟

فهل الشيخ شلتوت عندما أصدر فتواه كان يعلم بهذه الخرافات ويرى جواز اعتقاد صحتها ؟

والمثل الثاني للتقريب هو من الجانب الآخر؛ جانب الشيعة: فعالمهم الشهير عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب المراجعات انتهى فيه إلى وجوب أن نؤمن بهذه العقائد، وجماعة التقريب في إيران نشرت كتابه «الفصول المهمة في تاليف الأمة»، انتهى فيه إلى أن تاليف الأمة إنما يتم باعتناق عقيدتهم، أي أن على المسلمين جميعًا أن يتحدوا تحت راية ابن سبأ ؟

ألم أقل إن التقريب يسير بطريقة خاطئة !! وقد نبه إلى هذا عالم من أكبر علمائهم وهو آية الله العظمى البرقعي، حيث بين خطأ ما عليه قومه، ودعاهم إلى ترك هذه الأباطيل وتحكيم القرآن الكريم والعقل، وألف كتابه «كسر الصنم» والمراد بالصنم هنا هو الكتاب الأول عند الإثنى عشرية، وهو الكافي، الذي يرى مؤلفه أن كل ما فيه صحيح، ويرى عبد الحسين شرف الدين أنه كتاب مقدس كل ما فيه متواتر.

تكفير الصحابة وتحريف القرآن

وفي المقال السابق ذكرت بعض الأحاديث التي جاءت في هذا الكتاب، فهو يكفر الصحابة، ويحرف القرآن الكريم، ويعطي الأئمة الاثنى عشر ما هو من خصائص الله عز وجل، كعلم الغيب، وعلم ما تحت الثرى إلى ما فوق العرش، وأعمال العباد تعرض عليهم، بل إذا أمر الله عز وجل ملائكته بأمر عرضوه أولاً على الإمام، إلى غير ذلك من مظاهر الشرك.

فهل يرى الشيخ شلتوت جواز التعبد بهذا!؟ أم أنه كان لا يدري عندما أصدر فتواه ؟!

تهوين الخلاف بين السنّة والشيعة

والمقال الثالث يركز على فتوى الشيخ شلتوت، ويضيف إليها قول وزير الأوقاف المصري، الدكتور زقزوق بأن الاختلاف بين السنة والشيعة محصور في إطار الأمور الفرعية القابلة للاجتهاد المشروع.

فهل هذا القول صحيح في ضوء ما ذكرته على سبيل المثال لا الحصر ؟

عدم الإشارة إلى ما أدخله ابن سبأ في عقيدة المسلمين

ويأتي المقال الرابع ليشيد مرة أخرى بفتوى الشيخ شلتوت ويضيف قول الدكتور أحمد راسم النفيس: العقيدة الإسلامية عقيدة صافية رائقة وبسيطة، وهذا صحيح، لكن النفيس لم يشر إلى ما أدخله ابن سبأ في عقيدة المسلمين، وأخذ به الرافضة، فليتنا نتفق على الإبقاء على هذه العقيدة الصافية ويكون التقريب بإعلان بطلان ما يتعارض مع القرآن الكريم والسنة والعقل كما فعل آية الله العظمى البرقعي.

الوحدة مع عقيدة غريبة تقوم على الخرافات والأباطيل

وفي المقال الخامس ينقض ما قاله في الرابع، فينقل أن الإمامة هي ركن الدين الذي لا يجوز إغفاله أو إهماله أو تفويضه إلى العامة، وهذا يعني أن من

لم يأخذ بمقولة ابن سبأ، ولم يقل بإمامة الأئمة الاثني عشر فقد هدم الدين، وهذا أيضًا ينقض ما قاله في المقالات السابقة من عدم جواز تكفير المسلم، بل ما جاء في بداية هذا المقال من أن وحدة الأمة الإسلامية فريضة إلهية، فكيف تتم الوحدة مع القول بعقيدة غريبة عن الإسلام تقوم على الخرافات والأباطيل التي بثها ابن سبأ.

وما ذكره من أن اثنين من الصحابة من شيعة علي وهما أبو ذر وعمار، يذكرنا بما في كتب الرافضة من تكفير الصحابة ما عدا ما يعد على الأصابع، وذكره لحديث علي: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». مثل ما رواه الشيخان: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». فالأمر لا يختص بعلي وحده.

أين الاجتهاد عند الشيعة

وفي المقال السادس وهو الأخير يقول بأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحًا عند الشيعة، بخلاف جمهور المسلمين، وهذا القول فيه نظر، فمن أغلق باب الاجتهاد لمن هو أهل للاجتهاد؟

ثم أين الاجتهاد عند الشيعة مع اعتبار الإمام معصومًا لا مجتهدًا؟ ثم القول أخيرًا بولاية الفقيه حتى أصبح له ما للإمام؟

وفي هذا المقال نقف أمام موضوعين خطيرين:

الأول: أنهم لا يعتبرون من الأحاديث النبوية إلا ما صح منها عن طريق أهل البيت عن جدهم رسول الله ﷺ.

أي أن ما يرويه الصحابة الكرام البررة لا يؤخذ به ما داموا ليسوا من أهل البيت، وهذا وحده يكفي لهدم اتحاد الأمة ووحدتها، وفي المقال السابق ذكرت بعض الأحاديث التي يعتبرونها صحيحة أو متواترة، وأضيف إليها هنا بعض الأحاديث الأخرى لتأكيد ما بينته من واقع الأحاديث عند الرافضة.

وسأكتفي أيضًا بالنقل من كتاب «الكافي» الذي يُعتبر أهم كتاب عندهم، وعليه أساسًا يعتمدون في أصولهم وفروعهم.

في باب أن الأئمة هم أركان الأرض يروي الكُليني أن الراد على علي في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، ويُرْوَى عنه أنه قال: «علمت المنايا والبلايا والأنساب، لم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني». والمراد بالمنايا والبلايا آجال الناس ومصائبهم، وقوله: فلم يفتني ما سبقني: أي علم ما مضى، وقوله: غاب عني: أي علم ما يأتي.

وهذه الرواية تؤكد روايات ذكرتها في المقال السابق، من أن الأئمة - بزعمهم - يعلمون علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل يذكر اثنتي عشرة رواية يستفاد منها أن غير الأئمة الإثني عشر كفار وإن كانوا فاطميين علويين ومن تبعهم كان مشركًا بالله.

وفي الروايات تحريف لمعاني آيات ذكرت، وتكفير لفلان وفلان، أي الصديق والفاروق ومن والاهما.

وفي باب مواليد الأئمة يذكر ثماني روايات، منها: أن الله تبارك وتعالى إذا أحب أن يخلق الإمام أمر ملكًا فأخذ شربة من ماء تحت العرش فيسقيها أباه، فمن ذلك يخلق الإمام، فيمكث أربعين يومًا وليلة في بطن أمه لا يسمع الصوت، ثم يسمع بعد ذلك الكلام.

وفيها: فإذا مضى الإمام الذي كان قبله رفع لهذا منار من نور ينظر به إلى أعمال الخلائق.

هل التقريب أن نترك الصحيحين وغيرهما

وبعد: فهذه نماذج قليلة تكفي للحكم على كتب الرافضة، فهل التقريب أن نترك الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث ونأخذ بهذه الأحاديث التي يرويها الكليني في الكافي ؟! وهل يجوز التعبد بهذا كما أفتى الشيخ شلتوت؟!

والموضوع الثاني: الذي أقف عنده هو زواج المتعة:

فهل يجوز للرجل أن يستمتع بألف امرأة لأنهن مستأجرات ؟ وهل يجوز الاتفاق على مواقعة ؟ وهل يجوز اشتراط الإتيان من الدبر ؟ وهل يجوز الاستمتاع بالصغيرة ؟ وهل يجوز مفاخذة الرضيعة كما أفتي الخميني ؟ وهل يجوز لمجموعة الشباب أن يتبادلوا الاستمتاع بامرأة واحدة ما دام لا يتم الإدخال حيث لا توجد عدة ؟ وهل يجوز الاستمتاع بالمتزوجة ما دامت هي لم تُخْبِرْ بهذا، فليس له أن يسألها ؟ وهل يجوز إعارة المرأة لمن يستمتع بها ثم يردها للمعير ؟ وهل... وهل... وهل..؟ أسئلة كثيرة هذه بعضها وتحدثت عن المتعة بتوسع في كتابي «مع الإثنى عشرية في الأصول والفروع»، ويتبين أن كل ما سبق يجوز عندهم.

فهل لنا أن نستحل هذا الذي استحلوه ما دام يجوز التعبد بمذهبهم ؟

أفتونا أيها الداعون إلى التقريب ؟!!



من نور كتاب الله
خلق الإنسان للعبادة

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨) ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٨]

من هدي رسول الله ﷺ
كيف نرحب بإخواننا؟

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله؛ الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له ؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبّله ؟ قال: لا. قال: أفيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال نعم. [رواه الترمذي]

من أقوال السلف

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال في خطبته: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله عز وجل الذي أمر به. وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة.

عن الربيع قال: الشافعي رحمه الله: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.

قيل للحسن: يا أبا سعيد، خرج خارجي بالخريبة (محلة عند البصرة) فقال: المسكين رأى منكرًا فأنكره، فوقع فيما هو أنكر منه. [الشريعة]

من دلائل النبوة

عن أنس رضي الله عنه أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان وبيد كل منهما عُصية فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله. [رواه البخاري]

من فضائل الصحابة

عن أنس وابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: وافقت ربي في ثلاث؛ قلت: يا رسول الله؛ لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾. وقلت: يا رسول الله؛ يدخل على نسائك البَرُّ والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت كذلك. [متفق عليه]

حكم ومواعظ

عن امرأة حذيفة رضي الله عنها أنها قالت: قمت إلى جارية لي أضربها، فقالت لي: اتق الله. قالت: فألقيت ما في يدي، ثم قلت: يا بنية من اتقى الله لم يشف غيظه. اهـ.
والمعنى: أنها ستكظم غيظها في صدرها وقد تركتها لما قالت: اتق الله.

بكى سلمان رضي الله عنه عند موته، فقيل له: ما يبكيك ؟ يا أبا عبد الله ! قال: عهد إلينا النبي ﷺ عهدًا، وقال: «إنما يكفي أحدكم في الدنيا مثل زاد الراكب، فأنا أخشى أن أكون قد فرطت».

عن الفضيل - رضي الله عنه - قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه. [شعب الإيمان]

من جوامع الدعاء

عن عبد الله بن الحارث قال: كان إذا قيل لزيد بن أرقم - رضي الله عنه - : حدِّثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ ، يقول: لا أحدثكم إلا ما كان رسول الله ﷺ حدثنا به، ويأمرنا أن نقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والجبن والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع ودعوة لا تستجاب». [سنن النسائي]

من صفات أهل الجنة

عن ذي النون - رحمه الله - قال: خمسة من أعلام أهل الجنة: وجه حسن، وقلب رحيم، ولسان لطيف، واجتناب المحارم، وخلق حسن. وعلامة أهل النار خمسة: سوء الخلق، وقلب قاسي، وارتكاب المعاصي، لسان غليظ، ووجه حامض. [مصنف عبد الرزاق]

علامات أهل السنة

عن أبي القاسم عبد الجبار قال: سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: وقيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جارٍ أو عدل. [السنة للالكائي]

من وصايا السلف

عن علي - رضي الله عنه - قال: إنما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بَنُون، فكونوا من أبناء الآخرة، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل. [مصنف عبد الرزاق]

سؤال غير الله شرك

قال ابن تيمية - رحمه الله - : من يأتي إلى قبر نبي أو صالح يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابه، أو يقضي دينه أو ينتقم له من عدوه، أو يعافي نفسه وأهله ودوابه ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؛ فهذا شرك صريح يجب أن يُستتاب صاحبه، وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور لأني أتوسل إلى الله به كما يُتَوَسَّلُ إلى السلطان بخواصه وأعوانه فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فإنهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم، وكذلك أخبر الله عن المشركين أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] [بتصرف زيارة القبور]

من معاني اللغة

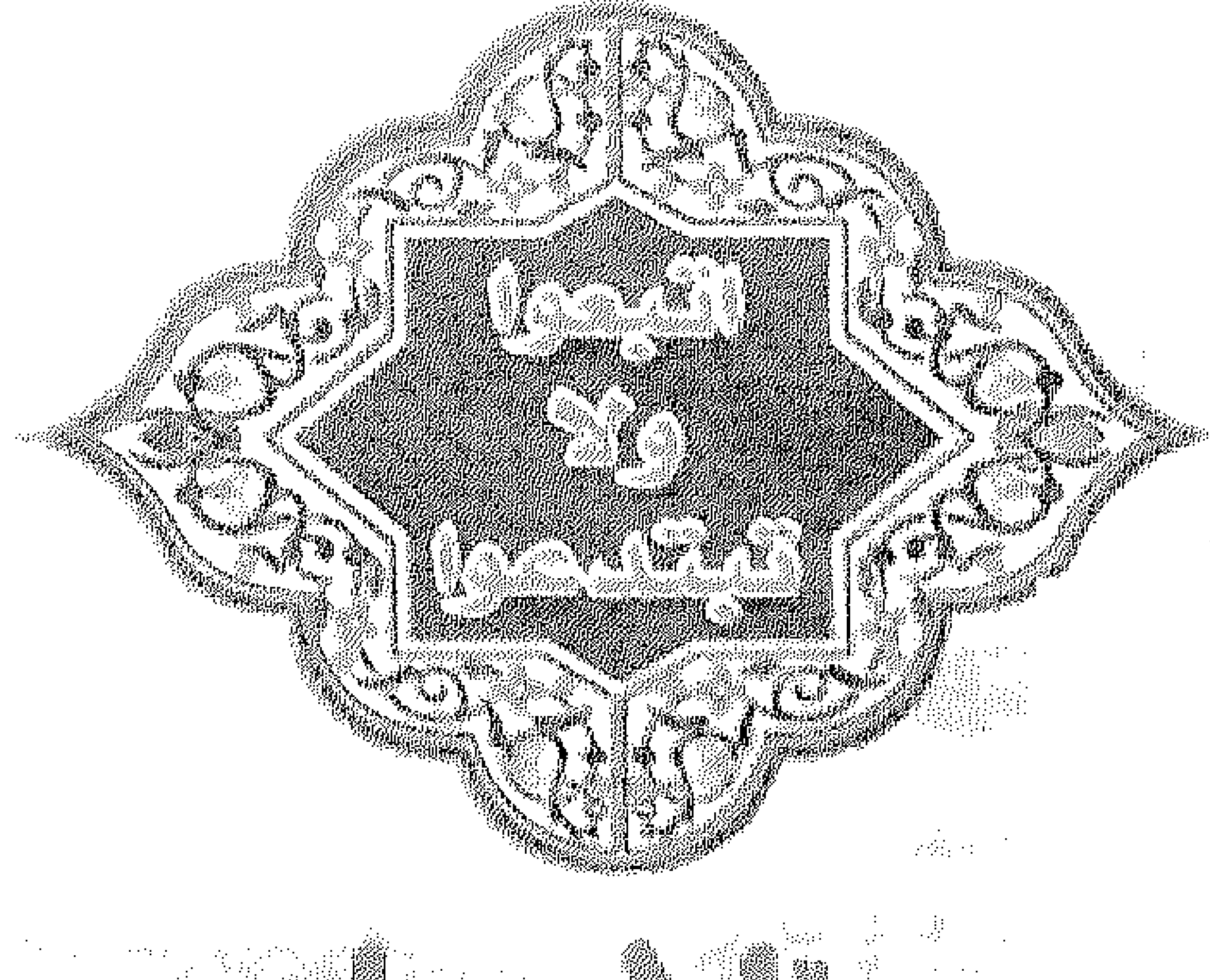
بطأ: البُطْءُ والإِبْطاءُ: نَقِيضُ الإِسْراع. تقول منه: بَطُؤَ مَجِيئُك، وبَطُؤَ في مَشْيِه يَبْطُؤُ بُطْأً وبِطاءً، وأَبْطَأَ، وتَباطأ،وهو بَطِيءٌ، ولا تقل: أَبْطَيْتُ، والجمع بُطاءٌ؛ قال زهير في مدح هرم بن سنان:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا
ضاربَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
فَضْلَ الجيادِ على الخَيلِ البِطاءِ فلا
يُعْطِي بذلك مَمْنُونًا ولا نَزِقا

وفي الحديث: «مَنْ بَطَّأَ به عملُه لم يَنْفَعْه نَسَبُه» أي مَنْ أَخَّرَه عملُه السيئ أو تَفْريطُه في العمل الصالح لم يَنْفَعْه في الآخرةِ شَرَفُ النَّسَب. [لسان العرب]

من أقوال علماء الجماعة

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - ناصحًا الدعاة إلى الله في وقت المحن والفتن والشدة والبلاء: فيا معشر الدعاة إلى الحق؛ كونوا واثقين بالله، مطمئنين إلى صادق وعده، مؤملين النصر وحسن العواقب، ولكن لا بد لكم من الابتلاء بالسراء والضراء، فاشكروا ربكم على ما أولاكم من الخير، واصبروا على الشدة اللأواء، وليكن في خليل الرحمن وإخوانه الأنبياء خير أسوة، فقد ابتلوا فصبروا وشكروا، فجزاهم الله خير الجزاء. [الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله]



الإسلام سمات



الحلقة الثانية

إعداد



الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة السابقة في موضوع الإسلام سمات وخصائص عن العموم وأن النبي ﷺ ليس نبيا للعرب فقط وإنما ارسل للبشرية كافة، وجاءت الأحكام والقواعد في الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ومهيئة للبقاء والاستمرار، تحقق مصالح العباد في العاجل والآجل، وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهي: «الدين والنفس والعقل والنسل أو العرض، والمال، واليوم نكمل ما بدأناه.

وإنه لحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله أنواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك، وشرع لحفظه حرمة أكل أموال الناس بالباطل، أو إتلافه بلا وجه شائع مشروع، والحجر على السفيه، وتحريم الربا، وعقوبة السرقة، كما وردت النصوص أيضاً بتحصيل حاجيات الإنسان، كالطلاق إذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق.

والتحسينات كالطهارة للبدن والثوب، وستر العورة، والنهي عن بيع الإنسان على بيع أخيه، والنهي عن قتل النساء والأطفال في الحروب.

يقول ابن القيم - رحمه الله- عن شريعة الله: إن مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسالة خرجت من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه.ا.هـ.

باب الاجتهاد مفتوح لمن حصل أدواته

ولا يمكن أن نغلق باب الاجتهاد أمام من تحققت له أسبابه وحصّل أدوات الاجتهاد والنظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والشريعة بما حوت من مبادئ كالشورى والمساواة والعدل وإزالة الضرر، وأحكام تفصيلية في كل ناحية من نواحي الحياة لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس المشروعة ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية في أي زمان ومكان، ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهي الكتاب والسنة، أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها ولله الحمد جاءت في غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شيء جديد إلا وللشريعة حكم فيه بالنص الصريح أو بالاجتهاد الصحيح، وبالتالي لا تضيق الشريعة بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا إذا لم يجدوا نصاً قاسوا الأشباه بالأشباه والنظائر.

٤- الجزاء:

تأخير التوبة ذنب يجب التوبة فيه

وخاصية الجزاء تختلف كثيرًا عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصارى فمن أذنب فعليه أن يبادر بالتوبة، وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ويشرع الستر على الإنسان إذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش. عن عبادة - رضي الله عنه - مرفوعًا: «من أتى شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله». وفي رواية أبي داود يقول النبي ﷺ لهزال (وهو الذي أتي بماعز لهزّال لرسول الله ﷺ لمّا زني) «ولو سترته بثوبك لكان خيراً» ويقول تعالي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور١٩] .

ولا يجب على الإنسان أن يذهب إلى الحاكم لإقامة الحد عليه إذا زنى مثلاً لأن النبي ﷺ أرجع ماعزًا والغامدية مرة بعد أخري، وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى «أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا ناتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف» قال: «فإن وفيتم فلكم الجنة وإن خشيتم من ذلك شيئاً فاختم

بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله، إن شاء عذب وإن شاء غفر». [رواه البخاري ومسلم]. والتوبة تمحو كل ذنب كفراً كان أو دونه ﴿قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال٣٨]، ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر:٤٩، ٥٠]، ونحن لا نفرح بكثرة عدد المحدودين أو المرجومين ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات.

وروى ابن حزم بسند صحيح أن عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهي أعجمية لا تفقه، وكانت ثيبا فحملت فأرسل إليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فسألها: أحبلت؟ قالت: نعم من مرعوش بدرهمين، فاستشار عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم - فقال علي وعبد الرحمن: وقع عليها الحد. أي: الرجم. فقال عثمان: أراها تستهل به كأنها لا تعلمه وليس الحد إلا على من علمه. فقال لعثمان: صدقت، والذي نفسي بيده ما الحد إلا على من علمه، ثم أمر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها في السؤال عن الحلال والحرام في أمر دينها. وورد في صحيح البخاري أن امرأة بالمدينة كانت تظهر في الإسلام السوء. وفي رواية أخرى: «كانت أعلنت في الإسلام»، وفي رواية لابن ماجه: «فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها» ولكن لما كانت جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبي ﷺ قال عنها مرة «لو كنت راجماً بغير بينة لرجمتها» ومن عجيب الأمر أن قطاعاً من الناس إذا ذكر الإسلام أو الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الغربة التي وصل إليها ومدى الضياع التي وصلت إليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحي الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة أيضاً عن معنى الجزاء في الإسلام والأصل فيه أنه عقاب أخروي ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران ٣٠]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة٨].

الجزاء الأخروي لا يمنع الجزاء الذي يوقعه الحاكم على المخالف

وهذا من أعظم الزواجر للنفوس المؤمنة عن المخالفة والعصيان، وربنا جل وعلا أحق أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر. والجزاء الأخروي لا يمنع الجزاء الذي يوقعه الحاكم على المخالف لأحكام الإسلام. والجزاء في الدنيا أيضاً لا يمنع الجزاء في الآخرة عن المخالف العاصي إلا إذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح، فلا إصرار على الذنب، بل يندم على ما مضى ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية وقبل أن يندم بالقلب ويستغفر باللسان ويقلع بالجوارح والمؤمن يعلم أنه لو أفلت اليوم من الجزاء الدنيوي فلن يفلت غداً من الله مالك الدنيا والآخرة والخلق خلقه والعبد عبده والأمر أمره وليس يخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه لإقامة الحد عليه ولاستيفاء الحق منه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في رواية لعمران بن حصين - رضي الله عنهما - في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر: يا رسول الله أتصلي على هذه الزانية؟ قال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم». وفي رواية بريدة في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أمر برجم الغامدية فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فقال النبي ﷺ: «مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغُفر له»، ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت. ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة، ومن ثمَّ تعلق الجزاء في الإسلام بمسائل العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها في الآخرة، وقد يكون لهذا جزاء في الدنيا أيضاً. ومجتمع يُطبق فيه حكم الله على الغني والفقير والرئيس والمرءوس لابد وأن يسعد في الدنيا قبل الآخرة.

٥- الإسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية:

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن أخواتها من صفات هذا الدين الذي امتن علينا ربنا به، وشرفنا بالانتساب إليه، وأن نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال وتوازن واتزان حتى وإن رماه الملاحدة بالتخلف والرجعية والجمود ونسبوا لأنفسهم - حين نادوا بالديمقراطية وغيرها من الفلسفات والمناهج - أنهم أصحاب دعوات تطورية وتحضرية وتقدمية، وأنهم يريدون أن يعيشوا حضارة القرن الحادي والعشرين، ونحن بشر- ولسنا ملائكة- نصيب ونخطئ، فإن وافقنا الحق فذلك فضل من الله وإن خالفناه فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله منه بريء، ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولا يكلف عباده ما لا يطيقون، فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج٧٨].

فعل الواجبات والانتهاء عن المحرمات يوجب تقوى الله

فالإسلام لا يغفل طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات إلى مستحبات والمعاصي تتفاوت كذلك من أكبر الكبائر إلى الصغائر والتقوى لها أصل وأساس، وهي أن يفعل العبد الواجبات وينتهي عن المحرمات، فإذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر٣٢]، والظالم نفسه هو الذي غلبت سيئاته على حسناته، وهذا قد يدخل النار، ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ولا يعذب فيها عذاب الكفار ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم٣٥، ٣٦]، والمقتصد هو الذي تساوت حسناته مع سيئاته، وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء أن يوقف بهم ثم يؤمرون فيدخلون الجنة

والسابق بالخيرات هو
ذي غلبت حسناته على سيئاته.

وهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهلة، فالعباد يتفاوتون تفاوتا عظيما في الدنيا والآخرة.

وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله» [رواه احمد وهو حسن، واخرجه الحاكم من حديث ابن عمر وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قال الألباني: وهو كما قال]، وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس في أكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين- والأولياء يتفاوتون أيضًا في درجات الولاية بحسب إيمانهم وتقواهم ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس٦٢، ٦٣].

والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه، والإحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه، ولذلك يقول تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤]، كان معهم أصل الإيمان الذي منعهم من الدخول في عداد المنافقين، ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذي يستحقون به الدخول في هذا المعنى، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، والعبد الذي يتابع الفرائض بالنوافل يصل إلى درجة المحبة كما في حديث الولي «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه». [متفق عليه]

والرجل عندما أتى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام، فبيَّن له الرسول ﷺ أركان الإسلام، فانطلق الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص منه شيئًا، فقال رسول الله ﷺ : «أفلح إن صدق» والمستوى الأرفع والأعلى حببت الشريعة إلى الناس بلوغه، ولكن لم توجبه عليهم، وإلزامهم جميعًا به في كل وقت منه يسبب حرجًا، والحرج في الشريعة مرفوع، وهذا من واقعية الإسلام، وهذا المستوى العالي يشمل المستحبات والمندوبات وترك المكروهات، فالصلاة والصيام والزكاة، والحج منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ونافلة كصلاة الظهر والنوافل قبلها وبعدها وصيام رمضان الواجب، ثم صيام الاثنين والخميس- مثلا- مستحب. وفي الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل والعفو والصبر أفضل، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل:١٢٦] . والكلام بالباطل حرام يجب تركه وهذا من معاني المستوى الأدنى، ثم الثرثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مكروه وإن لم يكن فيه باطل لما ورد في الحديث: «اتق الله حيثما كنت». [رواه أحمد والترمذي وحسنه الحاكم]

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال». [متفق عليه]

فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه تركه أفضل، وهذا من معاني المستوى الأعلى.

رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهديد

وقد رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بالتهديد بالقتل مثلاً إلا أن العزيمة في مواطن إظهار الدين أفضل ومن واقعية الإسلام إيجاد المخارج في أوقات الشدة والضيق، أو في أحوال الاضطرار كالفطر في رمضان للمريض والمسافر وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعد أو نائم «صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب» [رواه البخاري] ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة ١٨٥] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى». [متفق عليه]

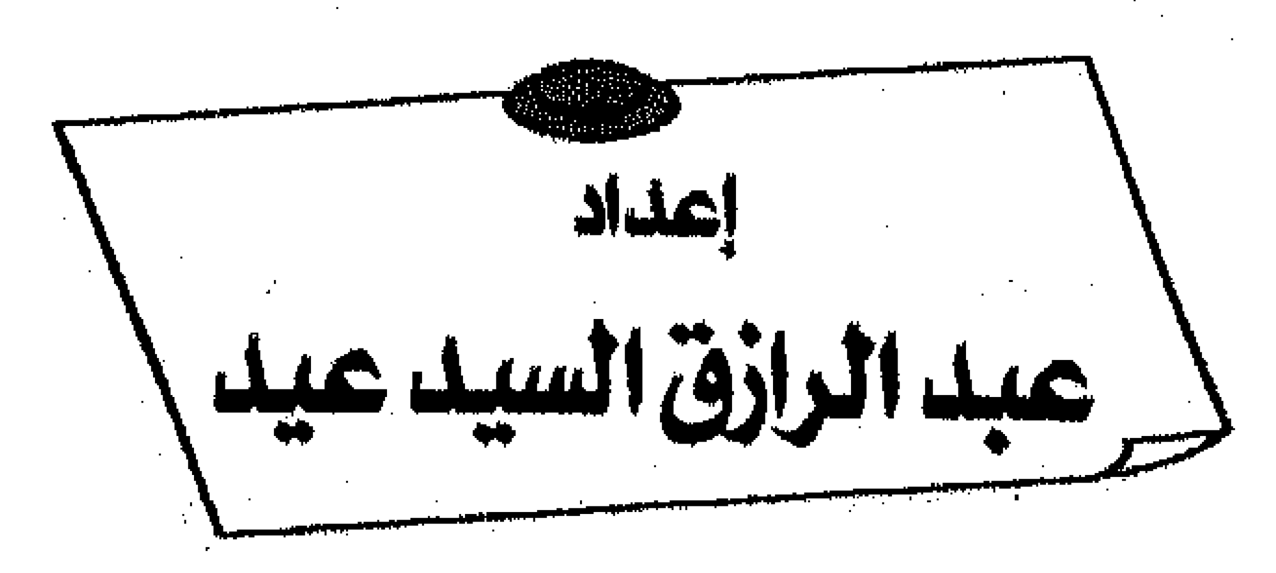
وقد نهى الإسلام عن الإفراط والتفريط والغلو والجفاء والإسراف والتقصير، وخير الأمور الوسط، فلا رهبانية في الإسلام، وتعذيب الجسد وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام، فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة رسول الله ﷺ ، فلما علموها وكأنهم تقالوها، فقال الأول: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثاني: وأما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الثالث: وأما أنا فلا أتزوج النساء. فلما علم النبي ﷺ بذلك قال: « أما والله إني لأتقاكم لله وأكثركم له خشية؛ أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وهذه سنتي، ومن رغب عن سنتي فليس مني». [متفق عليه] أي ليس على هديي أو طريقتي المحمودة، وليس له أيضًا أن يعيش حياة البهائم السائمة فيتلذذ بالحرام ولا يلتفت لدين، بل الواجب أن نحل ما أحل الله، وأن نحرم ما حرم الله، وأن نعظم حرمات الله، ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج٣٢] ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا ﴾ [هود ١١٢]، وأن نعيش حياة الاعتدال، قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك-أى لمن يزورك من الأصدقاء- عليك حقًا». [رواه البخاري ومسلم]

وأن نحرص على شمول النظرة ونتأسى في ذلك بخير القرون، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون في المسجد ويحرصون على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام، وفي حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين، وعند الجهاد يقاتلون، وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون، وهكذا كان شأنهم في جميع الأحوال، فالخير كل الخير في الرجوع لكتاب الله تعالى ولسنة رسول الله ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب٢١].

ونحن في هذا المنهج لا نحتقر طاعة، ولا نستهين بمعصية وإن دقت، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة ٢٠٨]. ومعظم النار من مستصغر الشرر وفي الحديث «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». [رواه الترمذي وحسنه الحاكم]

والله من وراء القصد.

حتى لا يقع الالتباس على كثير من الناس



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
عادت إلى الساحة في الآونة الأخيرة أدراج المهتمون به على تسميته بالتقريب بين المذاهب، ولست بصدد مناقشة موضوع التقريب الآن لا من قريب ولا من بعيد، ولكني رأيت أن تسمية هذا العمل بالتقريب بين المذاهب قد يُحدث التباسًا على الكثير من الناس؛ لذا أردت التوضيح وباختصار:
إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة «المذاهب» أنها المذاهب الفقهية (الشافعي- مالك- أحمد- أبو حنيفة) وغيرهم، رحم الله الجميع. هذا أولاً، وثانيًا: ذلك يوحي بأن الخلاف بين أهل السنة والشيعة خلاف مثل الخلاف الذي بين مذاهب الفقه، وشتَّان بين الأمرين:
فالخلاف بين المذاهب الفقهية خلاف في مسائل فرعية وليس في أصل العقيدة، وأصحاب المذاهب الأربعة المشهورة كلهم من أهل السنة والجماعة، ولا خلاف بينهم في أصول الاعتقاد وإنما خلافهم في مسائل فرعية من مسائل الفقه مثل قنوت الفجر عند الشافعية وبقية المذاهب مثلاً. والخلاف في هذه المسائل مستساغ وموجود منذ زمن الصحابة، وسيستمر ولا حرج فيه، بل قد يكون رحمة في بعض الأحيان، وصاحب هذا الاختلاف مأجور على كل حال انطلاقًا من قاعدة من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، وهي معتمدة على حديث رسول الله ﷺ.

أما الخلاف بين السنة والشيعة فهو خلاف في أصول الاعتقاد، وانطلاقًا من قاعدة الاختصار التي ألزمت نفسي بها سأختصر جدًا، فهو خلاف مذموم، هو كالخلاف بين السنة وبين الخوارج والقدرية والمرجئة، وهو الذي حذر منه القرآن الكريم حين قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].
وقد تحدث عنها النبي ﷺ موضحًا ومحذرًا حين قال: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وفي رواية أخرى قال: «فرقة» بدلاً من «ملة».
وعندما سُئل عن النجاة قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وهذه الأحاديث رواها أصحاب السنن وصححوها، وصححها الألباني رحمه الله في السلسلة تحت رقم (٢٠٤)، وجمع بينها وعلَّق عليها.
وكما ترى هذا اختلاف تفرق وتشرذم يفت في عضد الأمة ويضعف قوتها ويفرق كلمة المسلمين، وقد بين الرسول ﷺ سبيل النجاة بلزوم سنته وسنة أصحابه من بعهد، وقد أكد هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها ما رواه أحمد والترمذي وأبو داود من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «... فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». فأمر بالتمسك بسنته ﷺ وسنة أصحابه وبخاصة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، رضي الله عنهم.
وما أحسن ما ذكره عبد الله بن المبارك رحمه الله حين قال: (أصل اثنتين وسبعين فرقة هوى): أربعة أهواء تشعبت منها الفرق كلها: ١- القدرية. ٢- المرجئة. ٣- الشيعة. ٤- الخوارج. فمن قدَّم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم فقد خرج من التشيع أوله وآخره.
ومن قال الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره. ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره.
ومن قال المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة. اهـ.
أسأل الله أن يقينا وإياكم شر الأهواء، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه.

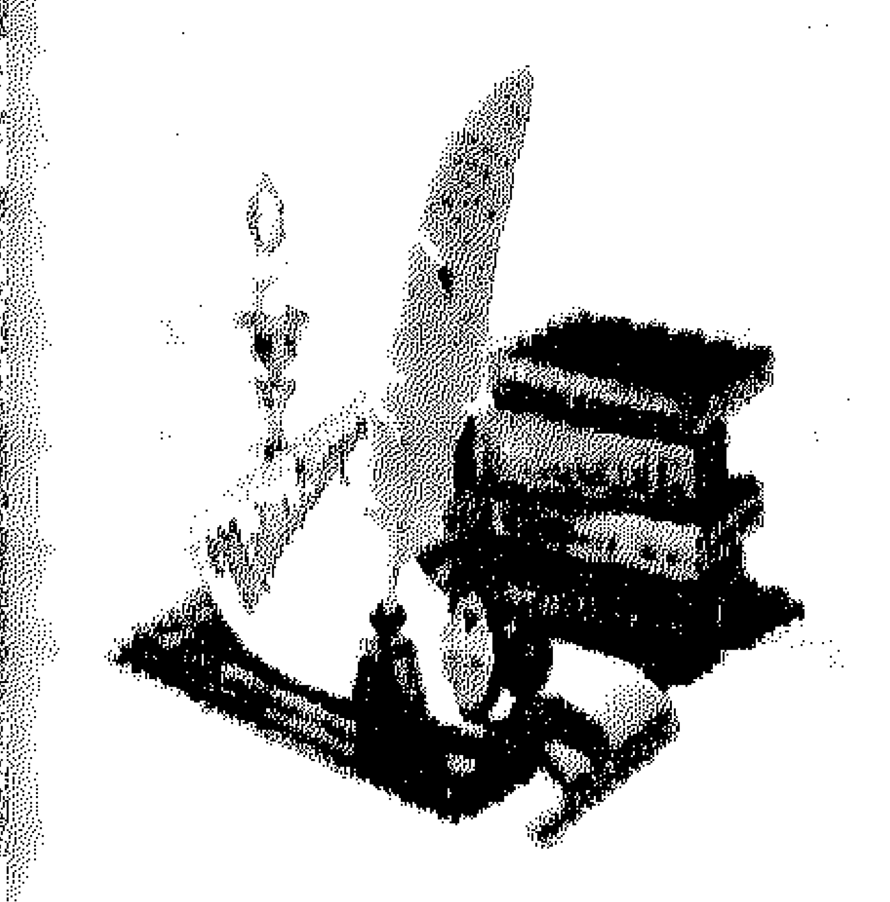




المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة

الحلقة الأولى

إعداد
متولي البراجيلي



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إن ما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع، هو ما يثار بين الحين والآخر حول الحجاب، والحجاب لا يحتاج منا إلى دفاع أو حتى إلى هجوم، فهو مسلَّمة من المسلَّمات، معلوم من دين الله بالضرورة، لكني أود أن أبيِّن بشيء من التفصيل - إن شاء الله - المنهج الذي شرَعه الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ لوقاية المجتمع من الفاحشة وإقامته على العفة والطهارة التامتين، ولنرى أن الحجاب جزء من منهج متكامل ومنظومة مثلى.

أولاً: بين يدي الموضوع

هناك مقدمات ضرورية أقدمها بين يدي الموضوع.

١- ربانية المنهج: فمصدر المنهج إلهي، مستمد من كتاب الله، وقد حُفظ كما أنزل وسيحفظ إلى قيام الساعة؛ لأن الله تعالى تعهد بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وجاءت السنة المطهرة لتبين القرآن الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ومن تمام حفظ القرآن الكريم حفظ السنة المطهرة، ما دامت هي المبينة الشارحة له، وقد حفظت السنة بما لم يحفظ به أي علم في تاريخ البشر.

وسنة الرسول ﷺ كالقرآن، واجبة الاتباع؛ لأن الرسول ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤].

ما يترتب على ربانية المنهج:

أ- كماله وخلوُّه من النقائص، فصفات الصانع تظهر فيما يصنعه، ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فإن أثر هذا الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام ومناهج وقواعد.

وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه، فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور، لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر ولا يستطيعون التجرد عنها ولا التخلص منها، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين والشرائع التي يصنعها البشر.

ب- ويترتب أيضًا على ربانية المنهج: أنه يحظى بالهيبة والاحترام من قِبَل المؤمنين به مهما كانت مراكزهم الاجتماعية، وسلطاتهم الدنيوية، على العكس من المناهج البشرية التي ليس لها سلطان على النفوس لأنها لا تقوم على أساس من العقيدة والإيمان، ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة هذه المناهج البشرية، كلما وجدت لذلك سبيلاً.

جـ- الشمول: فالمنهج شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان، فهو شمول تام بكل معاني كلمة الشمول، فللإسلام حكم خاص في كل ما يصدر من الإنسان بجوارحه، وفي كل ما يضعه في رأسه من أفكار وفي قلبه من ميول.

ويترتب على هذا الشمول أنه لا يجوز للمسلم أبدًا أن يسمح لغير نظام الإسلام أن ينظم أي جانب من جوانب حياته، وإلا كان كما وصف الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ

في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [البقرة: ٨٥].

د- العموم: فالمنهج لعموم البشر، فهو ليس لطائفة دون طائفة، فهو صالح لكل الناس وفي كل زمان ومكان، باق لا يتغير ولا يتبدل ولا ينسخ، لأن التغيير والتبديل والنسخ لا يكون إلا بوحي، وقد ختم الوحي بوفاة الرسول ﷺ.

فهذا العموم يستلزم أن تكون قواعده على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان ويفي بحاجاتهم.

هـ- مراعاة المصلحة: فالمنهج الرباني يدور مع المصلحة حيثما دارت في الدارين «الدنيا والآخرة»، فهو إما لجلب نفع أو دفع ضُر، كما قال بعض الفقهاء: «إن الشريعة كلها مصالح؛ إمَّا درء مفاسد، أو جلب مصالح».

و- الجزاء: فالمنهج ليس نصائح وإرشادات فحسب، بل هناك الثواب والعقاب، والأصل في جزاء الإسلام وعقوباته أنه في الآخرة، لا في الدنيا، ولكن مقتضيات الحياة واستقرار المجتمع يتطلب أن يكون هناك جزاء دنيوي (كالحدود) إلى جانب الجزاء الأخروي، وهذا يترتب عليه صلاح المجتمع، بالإضافة إلى أن الجزاء الأخروي يجعل المسلم يراقب ربه في السر والعلن خوفًا من عقاب الله تعالى، فهو لو استطاع أن يفلت من العقاب الدنيوي فلا يستطيع أن يفلت من العقاب الأخروي، وبهذا نجد النفوس تنزجر عن المخالفة إما حياءً من الله تعالى، وإما بدافع الخوف من العقاب الآجل.

ز- المزاوجة بين المثالية والواقعية: إن الإسلام حريص على أن يبلغ الإنسان أعلى مستوى ممكن من الكمال، وهذه هي مثالية الإسلام، ولكنه في نفس الوقت لا يغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه، وهذه هي واقعية الإسلام.

فالمثالية تحققت في النبي ﷺ، ولذلك أُمِرْنا بالتأسي به: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهذه المثالية يمكن بلوغها بنهج معتدل وسير مريح، فالجسد سفينة الروح، وليس من الحكمة خرق السفينة أو إضعافها.

وواقعية الإسلام تتمثل في مراعاة تفاوت الناس وطبائعهم، فوضعت تعاليم الإسلام مستوى أدنى للكمال لا يجوز الهبوط عنه، وهو أقل ما يمكن قبوله من المسلم، ووضع على نحو يستطيع بلوغه كل الناس: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، وهذا المستوى الأدنى يتحقق بالفرائض والمحرمات (الإلزام) وإلى جانب هذا الإلزام وضعت الشريعة مستوى أعلى حببت الناس إليه ولم تلزمهم به، وهو يشمل المندوبات والمكروهات.

فعلى سبيل المثال: الصلاة لها مستويان: المستوى الأدنى وهو الفرائض، والمستوى الأعلى هو السنن الرواتب والنوافل. والصيام مستويان: المستوى الأدنى وهو صوم رمضان، والمستوى الأعلى وهو صيام الست من شوال ويومي عرفة وعاشوراء والثلاثة الأيام من كل شهر، والاثنين والخميس من كل أسبوع، وهكذا في كل العبادات.

بل إن واقعية الإسلام لا تقف عند حد المستويين الأعلى والأدنى، بل تعدت ذلك إلى إيجاد المخارج المشروعة له في أوقات الشدة والضيق (الرخص).

ثانيًا: تمام هذا الدين

إن من مآثر هذه الأمة وفخرها أن الله تعالى أكمل لها الدين وارتضاه لها.

وهذا قاله اليهودي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (كما في الصحيحين): يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أي آية ؟ قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

فبنص هذه الآية كَمُلَ الدين، كما قالت عائشة رضي الله عنها لمسروق كما في صحيح مسلم، قالت: ومن زعم أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل الله عليه فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة: ٦٧]. [متفق عليه]

فمن جاء لنا باعتقاد أو عمل أو قول أو منهج محدَث يخالف منهج الرسول ﷺ وسيرته فكأنه يقول: إن الدين ناقص لم يكمل، وهذا يرده قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، أو أنه كامل، ولكن بقي شيء لم يبلغه رسول الله ﷺ، وهذا يرده حديث عائشة السابق.

وكذلك إبلاغه للأمة جميعًا في حجة الوداع، وهو يقول لهم: «ألا هل بلغت ؟ فيقولون: نعم. فيرفع يده إلى السماء وينكتها عليهم ويقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد».

ثالثًا: الشورى

إن الشورى وحرية الرأي مما كفله الإسلام وأمر به، فقال للنبي ﷺ: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال عن الأمة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] لكن الشورى والاستماع للآراء المتعددة مما ليس فيه وحي من الله تعالى، أما ما جاء عن طريق الوحي فليس فيه الاستماع للآراء المختلفة، فلا قول ولا رأي مع قول الله تعالى وقول الرسول ﷺ.

فإذا ما جاءنا الأمر أو النهي عن الله تعالى أو من الرسول ﷺ، فلا يسعنا إلاّ أن نقول: سمعنا وأطعنا.

رابعاً: سد الذرائع

هو منع الوسائل - قولاً أو فعلاً - التي تفضي إلى محرم، فليست هي المقصودة في نفسها وإنما المقصود ما توصّل إليه.

يقول ابن تيمية رحمه الله: والذريعة ما كان وسيلة أو طريقًا إلى شيء، لكنها صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن لها مفسدة.

ويقول ابن القيم رحمه الله: من تأمل مصادرها (يعني الشريعة) ومواردها، علم أن الله تعالى ورسوله ﷺ سد الذرائع المفضية إلى المحرمات بأن حرمها ونهى عنها.

وقال: وباب سد الذرائع رُبُعُ التكاليف، فإنها أمر ونهي، والأمر نوعان: (أحدهما) مقصود لنفسه. (والثاني): وسيلة إلى المقصود.

والنهي نوعان (أحدهما) ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه. (والثاني) ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين. [مجموع الفتاوى، إعلام الموقعين]

يقول الشاطبي: والشريعة مبنية على الاحتياط والأخذ بالحزم والتحرز مما عسى أن يكون طريقًا إلى مفسدة. [الموافقات]

فسد الذرائع المفضية إلى المحرم: أصل من أصول الشريعة، وإذا كان المالكية - وكذا الحنابلة - قد حكّموه في أكثر أبواب الفقه، وتوسعوا في تطبيقه حتى نُسِبَ إليهم، فالحق أن غيرهم لا يخالفهم في أصل القاعدة.

ومن أمثلة هذه القاعدة الجليلة: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، نهى الله سبحانه عن سب المشركين وآلهتهم لئلا يكون ذلك ذريعة إلى سبهم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، نهاهم سبحانه عن قولهم: راعنا، مع قصدهم الخير لئلا يكون ذريعة للتشبه باليهود الذين كانوا يخاطبون بها رسول الله ﷺ ويقصدون بها السب.

والأمثلة من السنة أكثر من أن تحصى، منها:

- تحريم الخلوة بالأجنبية والسفر بها؛ سدًا لذريعة الشهوة المفضية إلى المحظور. وتحريم بناء المساجد على المقابر لئلا يكون ذريعة إلى اتخاذها أوثانًا.

النهي عن قطع اليد للسارق أثناء الغزو، لئلا يكون ذريعة إلى إلحاق المحدود بالكفار.

النهي عن بيع السلاح في الفتنة، سدًا لذريعة الإعانة على المعصية.

النهي عن الصلاة تطوعًا في أوقات النهي (عند الشروق وعند الاستواء قبل الظهر، وعند الغروب)، سدًا لذريعة المشابهة بالكفار الذين يسجدون للشمس في هذه الأوقات.

النهي عن البناء على المقابر وتشريفها وعن الصلاة عليها وإليها، سدًا لذريعة أن تتخذ أوثانًا والإشراك بها.

النهي عن الزواج بدون ولي وإن تراضى الزوجان؛ سدًا لذريعة الزنى.

وكذلك النهي عن نكاح المتعة؛ سدًا لذريعة السفاح.

فالله تعالى إذا حرّم شيئًا، وله طرق ووسائل تفضي إليه، فإنه يحرمها ويمنعها، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم وإغراءًا للنفوس به.

وكما قيل: «الوقاية خير من العلاج» وهذا معلوم شرعًا وعقلاً لأصحاب الفطر السليمة - وسنجد - إن شاء الله تعالى - أن أساس المنهج الإسلامي في وقاية المجتمع من الفاحشة يقوم على قاعدة سد الذرائع، وإغلاق الوسائل والطرق التي من شأنها أنها قد تؤدي إلى الوقوع في المحرمات.

خامسًا: أركان المنهج

أي منهج يتكون من ثلاثة أركان: الركن الأول: واضع المنهج. الركن الثاني: موصّل المنهج. الركن الثالث: متلقي المنهج.

ولكي يصل المنهج إلى الغاية المنشودة منه فلابد من تضافر وتكامل هذه الأركان الثلاثة.

فلو تخلف ركن من هذه الأركان لفشل المنهج في مقصوده.

ولو نظرنا إلى المناهج الأرضية فإن الخلل قد يأتيها من أي ركن من الثلاثة، من واضع المنهج لقصور نظرته فإنه غالبًا ما يكون مرتبطًا في تفكيره بالزمن الذي يعيش فيه، أو من ينوط به أن يوصل المنهج للناس فيقصّر في هذا عمدًا أو جهلاً، أو قد يأتي الخلل من متلقي المنهج وذلك إما لإعراضه عنه

لعدم مناسبته له، أو لاتباع هواه، أو لغير ذلك من الأسباب.

لكن إذا نظرنا إلى منهج ربنا سبحانه وتعالى فإننا نجد أن واضع المنهج هو الله تعالى الذي له صفات الكمال والجلال وهو أعلم بالخلق وما يصلحهم ويفسدهم.

والذي قام بالتوصيل هو النبي ﷺ، ومن بعده العلماء، والنبي ﷺ نظرًا لأهمية العلم والعلماء - إذ هم المنوط بهم توصيل المنهج إلى الناس (المتلقين) - فقد بيّن أهمية العلم والعلماء وجعلهم ورثة الأنبياء، ودعا لهم بالنضارة، كما بالحديث :«نضّر الله امرءًا سمع منا شيئًا، فبلّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامع». [صحيح الجامع]

ولما قصَّر العلماء في توصيل منهج الله إلى الخلق تخبط الناس في غياهب الجهل والظلمات، فصلاح الناس بصلاح علمائهم، وفسادهم بفسادهم، وقد توعد الله تعالى هذا الصنف من العلماء بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ثم الركن الثالث وهو متلقي المنهج، فهو إما لم يصله منهج ربه على الإطلاق، أو وصله وصولاً ناقصًا مشوشًا، أو وصله واتبع هواه وأضله الله على علم.

لذا فإننا نجد أن عصر الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم هو أفضل العصور على الإطلاق، وذلك لتوافر الأركان الثلاثة للمنهج في زمنهم.

واضع المنهج وهو رب العالمين، من قام بتوصيل المنهج وهو الرسول الأمين، مَن تلقى المنهج وهم خيرة خلق الله بعد الرسل والأنبياء.

فانظر مثلاً إلى تحريم الخمر، وكيف تدرج الله في تحريمه حتى حرَّمه نهائيًا، وكيف تلقى الصحابة رضي الله عنهم الأمر بالمسارعة في السمع والطاعة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجراح وأبيَّ بن كعب شرابًا من فضيخ (نوع من الخمر) وهو تمر، فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنسُ، قم إلى هذه الجرار فاكسرها. قال أنس: فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت.

[البخاري ٧٢٥٣]

سادسًا: صلاح المرأة صلاح للمجتمع

المجتمع يتكون من عنصرين، هما الرجل والمرأة، فالمرأة نصف المجتمع وتلد نصفه الآخر، لذا فقد اهتم الإسلام بها أيَّما اهتمام، وأوصى الله بها وبالإحسان إليها، وكفل لها حقوقها بما لم يأت في أي شريعة من الشرائع أو منهج من المناهج على كثرتها وتعددها، فهي الدرة المصونة والملكة المتوجة في كل مراحل حياتها.

والوصية بها من آخر وصايا رسول الإسلام ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان عندكم...».

[مسلم: ١٢١٨]

لكنه في نفس الوقت حذَّر من تفلتها من تعاليم شرعها واتباع هواها؛ لأن فسادها سيكون وبالاً على مجتمعها، كما حدث في الأمم السابقة.

وفي الحديث: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». [مسلم]

وكذلك حديث: «ما تركت بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء». [متفق عليه]

وقدم الله تعالى في كتابه فتنة النساء على سائر فتن الدنيا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

والافتتان بالمرأة قد يؤدي إلى إحباط عمل من أفضل ما يُتقرب به إلى الله عز وجل وهو الهجرة، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». [متفق عليه]

سابعًا: الزنا ضد الفطرة السوية

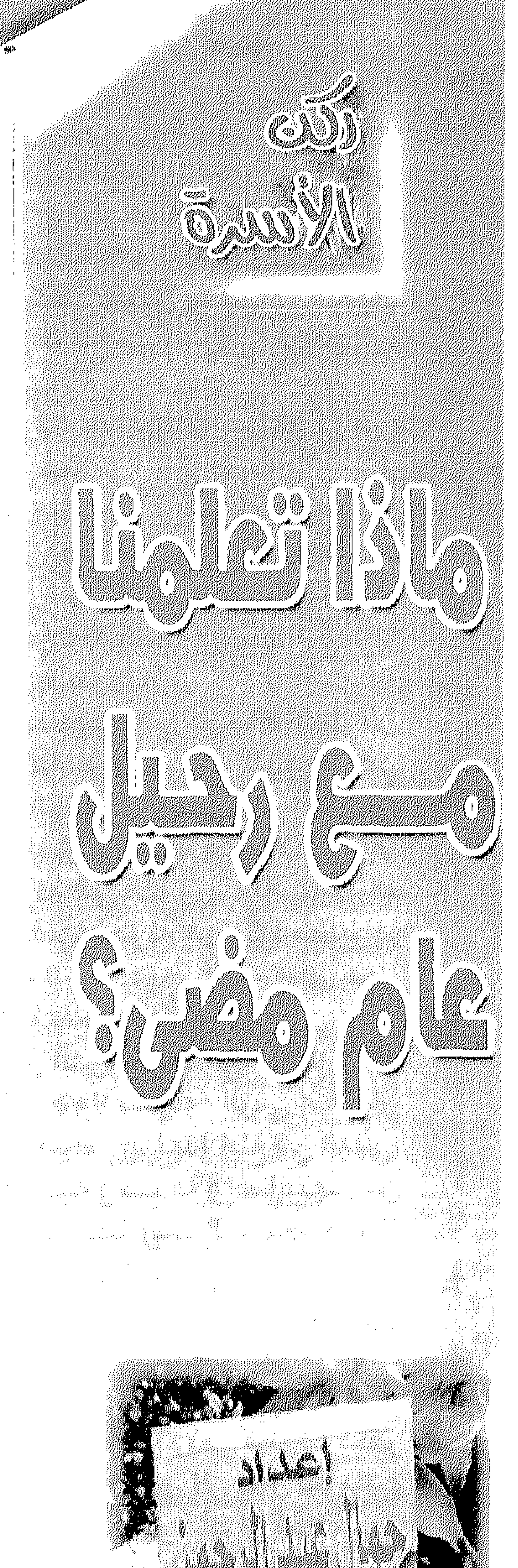
وهو يؤدي إلى رجس الفرد والمجتمع، لذا فإن الله تعالى لما نهى عنه قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فهذا أبلغ في النهي، لأنه لا ينهى عن الفاحشة وحدها وإنما ينهى عن الاقتراب من كل ما يقرب منها (سد الذرائع)، والزنا جرم فادح حتى بين الحيوانات العجماوات.

كما أخرج البخاري من حديث عمرو بن ميمون قال: «رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدةٌ قد زنت، فرجموها فرجمتها معهم».

لذا فإننا نجد أن ما زنت امرأة نبي قط، قد تكفر بالله ورسالته ولكن لا تزني، والرجل لأن يقال له: ماتت زوجتك، خير من أن يقال له: زنت زوجتك أو أختك...

من أجل هذا حرَّمه الله، وحرم كل الوسائل والطرق التي قد تؤدي إليه، وذلك في منهج ومنظومة متكاملة - لا تجد لها مثيلاً.

كما سنرى إن شاء الله تعالى في المقالات القادمة.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.. فسبحان من يقلب الليل والنهار، ويطوي الآجال والأعمار، بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار هو الواحد الأحد المتفرد بالجلال والكمال والجمال، المتعالي على خلقه المتوحد بتصريف الأحوال على التفصيل والإجمال، ينقطع كل رجاء إلا فيه، ويزول كل خوف إلا منه، ويُخفق كل توكل إلا عليه، ويهلك كل شيء إلا وجهه، هو من ندعو وهو من نرجو، به نصول وبه نجول وبه نقاتل، وبه نستعين ونستغيث ونستجير، إذا دعى العبدُ غيره فإنه لا يسمع، ولو سمعوا ما استجابوا، ولو استجابوا فلا يستجيبون بشيء فيكون هذا العبدُ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال.

ولما كان من سنته مرور الشهور والدهور؛ فقد مضى عام وانصرم، قد يحتفل الجهلاء بمروره، لا يدرون علام يحتفلون، أعَلَى ذنوب مضت لا يدرون ما الله فاعل فيها أم على تقصير في الطاعات وتضييع للأوقات؟

قال الحسن البصري: طلبت خطب النبي ﷺ في الجمعة فأعيتني، فلزمت رجلا من أصحاب النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال: كان يقول في خطبته يوم الجمعة: «يا أيها الناس إن لكم علمًا فانتهوا إلى علمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلي نهايتكم، فإن المؤمن بين مخافتين؛ بين أجل قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري كيف الله صانع فيه، فليتزود المرء من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشباب قبل الهرم، ومن الصحة قبل السقم، فإنكم خلقتم للآخرة والدنيا خلقت لكم، والذي نفسي بيده ما بعدالموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار وأستغفر الله لي ولكم. [شعب الإيمان للبيهقي ٣٦٠/٧]

فليحذر الغافل، وليتعلم الجاهل، ويتفقه في دينه ليعرف ربه حق معرفته، ويتقيه حق تقاته، ويموت مسلمًا، ولينظر هل زاد علمه، وزاد حفظه للقرآن والسنة؛ أم أنه حُرِم من ذلك كله؟

فضل العلم، ونشره حتى الموت:

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم لفضله وشرفه وأهميته العظيمة في الوصول إلى الله.

في ظلال التوحيد

«وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم عنهم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة». أي: وفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة.

وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]. أي: الذين يخافون الله عز وجل ويخشونه حق الخشية هم الذين عرفوا قدرته.

وقال: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]. أي: لو كنا نسمع سمع من يدرك ويفهم، أو نعقل عقل من يميز ما كنا في عداد أصحاب النار، قال في الفتح: وهذه أوصاف أهل العلم، فالمعنى: لو كنا من أهل العلم لعلمنا ما يجب علينا فعملنا به فنجونا. وقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». وقال: «إنما العلم بالتعلم».

وقال عز وجل: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن أجل ذلك حرص السلف رضوان الله عليهم على تبليغه حتى آخر لحظة من عمرهم، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل عليه شاب، وعمر في فراش الموت ودخل الشاب ليعزيه، فلما ولى أبصر عمر ثوبه مُسْبلاً، فقال: ردوا عليَّ الغلام، ثم قال له: يا ابن أخي؛ ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك، وأنقى لثوبك.. [البخاري]

وقال أبو ذر: لو وضعتم الصمصامة (السيف) على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] حلماء فقهاء ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره.

وفي فضل العلم أيضا ورد عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق. فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء؛ أتيتك من المدينة مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ قال: فما جاء بك، تجارة؟ قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقًا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض. حتى الحيتان في الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا. إنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر». [أخرجه ابن ماجه وقال الشيخ الألباني: صحيح] ومعنى «لتضع أجنحتها» مجاز عن التواضع تعظيمًا لحقه ومحبة العلم. «رضًا» مفعول له، أي: إرادة رضا.

علماء السنة موجودون في كل زمن:

قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق». وهم أهل العلم.

[صحيح البخاري جـ٦ ص٢٦٦٦]

(طائفة) قال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذاهب أهل الحديث، وقال الإمام النووي: يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين؛ فمنهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

(لا يضرهم من خذلهم) يعني من خالفهم.

(حتى يأتي أمر الله) المراد به هو الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة.

وقال رسول الله ﷺ: «يبعث الله على رأس كل مائة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها».

[إصلاح المساجد ٥/١ صحيح]

فإذا كانت طائفة الحق - وهم العلماء - موجودة في كل زمن، ثم على رأس كل مائة سنة يبعث الله من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، فلا مكان لإنكار وجود العلماء وإن تفرقت بهم الأمصار، وتباعدت بينهم الديار، وعليه فالمرجع إلى يوم القيامة إلى

ورثة الأنبياء وهم العلماء. قال ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما. إنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

[الجامع الصغير وزيادته]

وجوب سؤال العلماء:

وإذا عرفنا وجوب التعلم، فالواجب أيضا - كما أمر الله عز وجل - إتيان البيوت من أبوابها - وباب العلم سؤال العلماء وصحبتهم، والصبر على الطلب، وعلى ثني الركب، لنيل الأرب وتحصيل الفقه والأدب.

عن جابر قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العَيّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر» أو «يعصب» شك موسى «على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده». [سنن ابي داود ١٤٥/١ قال الشيخ الألباني: حسن دون قوله: إنما كان يكفيه]

وإذا كان العلماء هم الذين يحملون ميراث النبوة من العلم، وهم الذين أخذوا الحظ الوافر من سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين فمَنْ يُستفتى غيرهم في الأمور العظيمة والفتاوى الخطيرة؟ فقضايا التكفير، وكذلك إثبات الجهاد في مرحلة من المراحل من عدمه، والكفاية فيه أو التعيين، ومن الذي يحمل رايته ويدعو إليه؟ أليس كل ذلك منوطًا بالعلماء - أهل السنة والحديث - وليس غيرهم؟ قد يقول قائل: قرأنا في كتب العلماء السابقين فوجدنا أن الجهاد متعين على كل فرد من الأمة الآن؛ ونسأل أيضا: فأين فتوى العلماء المعاصرين - علماء الجيل - الأعلام الموقعين وتوقيعهم الحالي على صحة ما يقال؟

نريد ممن يتحدث في قضية مصيرية تخص أمة محمد ﷺ أن يجمع توقيعات العلماء الربانيين على صحة قضيته، وقد أثبتنا من كلام رسولنا ﷺ أن العلماء لا يزالون في كل زمن ظاهرين على الحق، وكذلك في كل مائة سنة يوجد من يجدد للأمة دين الحق، فنفي هؤلاء تكذيب لخاتم الأنبياء.

وليس الدين طلاسم أو لوغاريتمات، ولكن الحلال بين والحرام بين، والمشتبهات فيما بين ذلك مرد معرفتها أيضا إلي العلماء «وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس». وذلك يتضمن معرفتها عند جمع من العلماء.

وقد تركنا رسول الله ﷺ على دين واضح، الليل فيه كالنهار لا يصلح معه السرية، والتلقين داخل الغرف والكهوف.

قال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأُنُف؛ حيثما قيد انقاد».

[صحيح، السلسلة الصحيحة ٩٣٧]

من الذي سيعرفنا عند الاختلاف سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين؟ إنهم هم العلماء في كل زمن وليس غيرهم.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. قال القرطبي: أولو الأمر هم أهل العلم والفقه.

وقال الطبري في تفسيره: أولو الأمر منهم: أولو الفقه في الدين والعقل. وذكر قول قتادة: إلى علمائهم.

جزاء سب العلماء وانتقاصهم:

ينتشر بين الشباب قول بعضهم: أين هم العلماء؟ وهل فلان هذا عالم؟ وآخر يقول: أنا لا أعترف بكل الموجودين الآن، وغير هذا من العبارات التي فيها تجريح وانتقاص وتقليل من شأن أهل العلم.

وهذا - كما سبق - سبيل غواية؛ لأن النبي ﷺ أثبت وجود العلماء في كل عصر وفي كل قرن ولا يزيغ عن هذه الحقائق إلا الهالك كما ذكر ذلك سيد ولد آدم ﷺ، فليحذر من يخالف عن أمر الرسول ﷺ أن تصيبه فتنة أو يصيبه عذاب أليم.

عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب...». [صحيح البخاري]

وماذا يتوقع من أعلن الله تعالى الحرب عليه؟ وأي شيء يرجو من ظن أنه غيور على دين الله فإذا

هو يقدم بين يديه؟ وإلى أي ملجأ يلجأ الظالم الذي ظلم أهل الخشية من العلماء وزكى نفسه وهو ليس بمرجع يُرجع إليه؟

قال ابن عساكر رحمه الله تعالى: وأعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته؛ أن لحوم العلماء رحمة الله عليهم مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلق ذميم، والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم، إذ قال مثنيًا عليهم في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] والارتكاب لنهي النبي ﷺ عن الاغتياب وسب الأموات جسيم فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. [تبيين كذب المفتري لابن عساكر]

إلى المرأة المسلمة

أثر العلم الشرعي في التعامل بين الخاطب والمخطوبة

أراد النبي ﷺ أن يخطب أم سلمة - رضي الله عنها - بعد وفاة زوجها أبي سلمة، فلما انقضت عدتها بعث إليها عمر بن الخطاب يخطبها عليه، فقالت: أخبر رسول الله ﷺ أني غَيْرَى - شديدة الغيرة من الضرائر -، وأني مُصْبِيَة - ذات صِبْيَة صغار ولا تريد أن تضيق بهم على رسول الله ﷺ - وليس أحد من أوليائي شاهدًا - فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، قال: «ارجع إليها فقل لها: أما قولك: إني امرأة غَيْرَى فأسأل الله أن يذهب غيرتك، وأما قولك: إني امرأة مُصْبِيَة فتُكفين صبيانك، وأما قولك: إنه ليس أحد من أوليائك شاهد، فليس من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك» فقالت لابنها: يا عمر، قم فزوِّج رسول الله ﷺ، فزوَّجه، فكان رسول الله ﷺ يأتيها ليدخل بها، فإذا رأته أخذت ابنتها زينب فجعلتها في حجرها، فينقلب رسول الله ﷺ، فعلم بذلك عمار بن ياسر وكان أخاها من الرضاعة، فجاء إليها فقال: أين هذه المقبوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ؟ فأخذها فذهب بها، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها فجعل يضرب ببصره في جوانب البيت، وقال: «ما فعلت زينب؟». قالت: جاء عمار فأخذها فذهب بها، فبنى بها رسول الله ﷺ وقال: «إني لا أنقصك مما أعطيت فلانة؛ رحائين وجرتين ومرفقة حشوها ليف». وقال: «إن سبَّعْتُ لك سبعت لنسائي». [صحيح ابن حبان ٢٩٤٩/٧]

هذه أم سلمة تخبر النبي ﷺ بكل صراحة بكافة أحوالها، ومَنْ من النساء تتحصل على الزواج برسول الله ﷺ؟ لكن أم سلمة رضي الله عنها لم يمنعها ذلك من أن تُعْلِمَه بالحقيقة ولو كانت النتيجة الرفض منه، إلا أننا نرى نساءً إذا جاءهن الخاطب قالت هي وأهلها: فرصة لا نضيعها، أفرشوا له الأرض بالحرير، وحلُّوا له الكلام بالعسل، وابتسموا في وجهه، وإن لم يكن هذا طبعكم، واكتموا عنه كل شيء يسيئه، ثم بعد ذلك يا سادة، نعلمه أين يخبئ القرد أولاده!! حتى إذا ما عقدوا العقد كشرت عن أنيابها الحية، وشبَّت الحرب الأهلية، حتى يقول الزوج: يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا.

هذا يحدث في العادة، فأين يا قوم السعادة؟!

لكن أم سلمة الشريفة العاقلة، العفيفة الفاضلة تعطينا الدرس.

ودرس آخر: تقول أم سلمة رضي الله عنها: أتاني رسول الله ﷺ فكلمني وبيننا حجاب فخطبني... الحديث.

[أخرجه ابن سعد ٩٠/٨، وأحمد ٣١٣/٦، وإسناده صحيح]

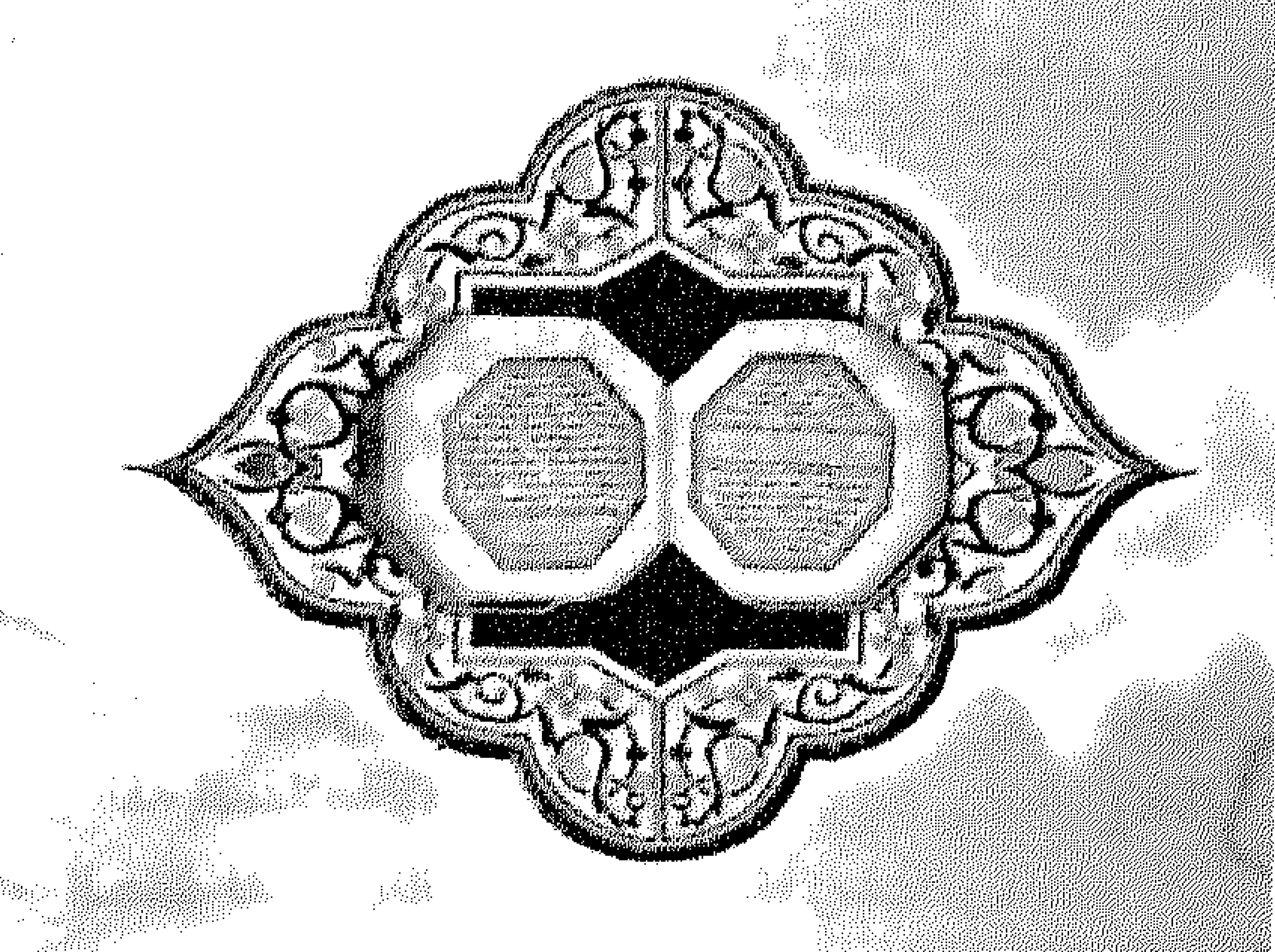
فهذا رسول الله ﷺ التقى النقي، وهذه أم سلمة المبشرة بالجنة، قبل أن يحدث بينهما رؤية شرعية يكلمها أولاً أنه يريد الزواج بها، فكان الكلام من وراء حجاب، وتلك هي الأخلاق والآداب، فما بال الذين جاءونا بدين جديد؟! يتعرفون أولاً ثم صداقة، واختلاط وعلاقة، وتجربة وحب، وإذا سألتهم قالوا: حب شريف! ألم يكن رسول الله ﷺ يعرف الحب الشريف حتى عرفتموه للأمة؟! «من سَنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». [مسلم جـ٢ ح١٠١٧].

نسأل الله السلامة.

والحمد لله رب العالمين



لفضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد انتهينا في العدد السابق إلى ما ذكرناه مما يستند إليه الداعون إلى التساهل في حجاب المرأة من قصة المرأة الخثعمية، والمرأة الواهبة نفسها للنبي ﷺ، والمرأة سفعاء الخدين.

وفي هذا العدد نجيب- إن شاء الله تعالى- على الحالات الثلاث:

قصة المرأة الخثعمية

الأولى: قصة المرأة الخثعميّة التي كانت تسأل رسول الله ﷺ؛ ويستدلون بها، ونصها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس رضي الله عنهما يوم النّحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم، وضيئة، تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها فالتفت النبي ﷺ، والفضل ينظر إليها، فاخلف بيده. فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده، أدركت أبي شيخًا كبيرًا» الحديث. فالإخبار عن الخثعميّة بأنها وضيئة يفهم منه أنها كانت كاشفة وجهها.

وأجاب عن ذلك الشيخ الشنقيطي رحمه الله من وجهين:

الوجه الأول من روايات الحديث

ليس في شيء من روايات الحديث التّصريح بأنها كانت كاشفة وجهها، وأن النبيّ ﷺ رآها كاشفة عنه، وأقرها على ذلك، بل غاية ما في الحديث أنها وضيئة، وفي بعض روايات الحديث أنها حسناء، ومعرفة كونها وضيئة أو حسناء، لا يستلزم أنها كانت كاشفة عن وجهها، وأنه ﷺ أقرها على ذلك، بل قد ينكشف عنها خمارها من غير قصد، فيراها بعض الرجال من غير قصد كشفها عن وجهها.

ويحتمل أن يكون عرف حسنها قبل ذلك الوقت. لجواز أن يكون قد رآها قبل ذلك وعرفها.

ومما يوضح ذلك أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي روى الحديث هذا، لم يكن حاضرًا وقت نظر أخيه إلى المرأة، ونظرها إليه، لأن النبي ﷺ، قدّمه بالليل من مزدلفة إلى منى في ضعفة أهله، ومعلوم أنه إنما روى الحديث المذكور، عن طريق أخيه الفضل، وهو لم يقل له إنها كانت كاشفة عن وجهها. واطّلاع الفضل على أنها

وضيئة حسناء، لا يستلزم النظر قصدًا، لاحتمال أن يكون رأى وجهها، وعرف حسنه من أجل انكشاف خمارها من غير قصد منها. واحتمال أنه رآها قبل ذلك وعرف حسنها.

فإن قيل: قوله إنها وضيئة، وترتيبه على ذلك بالفاء، في قوله: فطفق الفضل ينظر إليها، وقوله: وأعجبه حسنها، فيه الدلالة الظاهرة على أنه كان يرى وجهها، وينظر إليه لإعجابه بحسنها.. فالجواب أن تلك القرائن، لا تستلزم أنها كانت كاشفة، وأن النبي ﷺ رآها كذلك، وأقرها لما مرّ من أنواع الاحتمال، مع أن جمال المرأة قد يعرف، وينظر إليها لجمالها وهي مختمرة، وذلك لحسن قدّها وقوامها، وقد تعرف وضاءتها وحسنها، من رؤية بنانها، فقط، كما هو معلوم، ولذلك فسّر ابن مسعود: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بالملاءة فوق الثوب. والعرب في أشعارهم يبالغون في حسن قوام المرأة، مع أن العادة كونه مستورًا بالثياب لا منكشفًا.

الوجه الثاني: أن المرأة محرمة

وإحرام المرأة في وجهها وكفّيها، فعليها كشف وجهها، ما لم يكن هناك رجال أجانب ينظرون إليها، وعليها ستره من الرجال في الإحرام، كما هو معروف عن أزواج النبي ﷺ وغيرهن، ولم يقل أحد إن هذه المرأة الخثعميّة نظر إليها أحد غير الفضل بن عباس رضي الله عنه، والفضل منعه النبي ﷺ من النظر إليها، وبذلك يعلم أنها محرمة، لم ينظر إليها أحد، فكشفها عن وجهها إذًا لإحرامها لا لجواز السفور.

فإن قيل: كونها مع الحجاج، مظنة أن ينظر الرجال وجهها إن كانت سافرة، لأن الغالب أن المرأة السافرة وسط الحجيج لا تخلو ممن ينظر إلى وجهها، فالجواب: أن الغالب على أصحاب النبي ﷺ، الورع وعدم النظر إلى النساء، فلا مانع عقلا ولا شرعًا، ولا عادة من كونها لم ينظر إليها أحد فيهم ولو نظر إليها لحكي، كما حكي نظر الفضل إليها، ويفهم من صرف النبي ﷺ وجه الفضل عنها، أنه لا سبيل إلى ترك الأجانب ينظرون إلى الشابة وهي سافرة، كما ترى وقد دلّت الأدلة العديدة على أنها يلزمها حجب جميع بدنها عنهم.

الشارع لم يأذن للنساء في الكشف عن الوجه أمام الأجانب

وبالجملة: فإن المنصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب مع أن الوجه هو أصل الجمال. والنظر إليه من الشابة الجميلة هو أعظم مثير للغريزة البشرية، وداع إلى الفتنة والوقوع فيما لا ينبغي.

حكاية المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ

الثانية: حكاية المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وجاء فيه أن النبي ﷺ صعّد فيها النظر، ولم يأمرها بالتّستر عن الحاضرين.

فهذا يدل أولا على جواز نظر الخاطب للمرأة التي يرغب في الزواج بها، وأهم ما ينبغي النظر إليه الوجه، وما يظهر عادة كاليدين والقدمين، لأن الوجه هو مجمع المحاسن للمرأة، كما قال النبي ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» قال جابر بن عبد الله راوي الحديث: فخطبت امرأة فكنت اتخبأ لها، حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها».. وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: «اذهب فانظر إليها، لعله يؤدم بينكما»، فصار النظر في حالة الخطبة، كالإدام مع الطعام، الذي يشهّي الطعام، وعلّله المصطفى عليه الصلاة والسلام: بما عند الأنصار من أثر النظرة، التي بها ينجذب القلب للإقدام، أو ينصرف فيحصل الإحجام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فلعل ذلك الوقت، الذي جاءت فيه المرأة لتهب نفسها للنبي ﷺ، كان قبل فرض الحجاب مما جعل النبي ﷺ لم يأمرها بالتستر عن الحاضرين. وهذا ما يراه كثير من العلماء، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، في دروسه على بلوغ المرام، حيث قال: كان هذا والله أعلم قبل الأمر بالحجاب، ويجب حمله على هذا.

حكاية المرأة سفعاء الوجهين

الثالثة: ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، الذي جاء فيه بعد وعظه عليه الصلاة والسلام النساء، فقامت امرأة من سِطَةِ النساء سفعاء الخدّين، فقالت: ولم يا رسول الله؟ فلو لم تكن كاشفة لم توصف بذلك.

قول جابر في حديث سفعاء الخدين

ونص الحديث الثابت في الصحيح، الذي استدلوا به على كشف وجه المرأة: قال جابر: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة، قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ثم قام متوكئًا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحثّ على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، فقال: «تصدقنّ فإن أكثركن حطب جهنم، فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت: ولم يا رسول الله؟. قال: لأنكنّ تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير. قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال، من أقراطهن وخواتيمهن». هذا لفظ مسلم في صحيحه..

قالوا: وقول جابر في هذا الحديث: سفعاء الخدين، يدل على أنها كانت كاشفة عن وجهها، إذْ لو كانت محتجبة لما رأى خديها، ولما علم أنها سفعاء الخدين..

وقد أجاب الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أضواء البيان عن حديث جابر هذا: بأنه ليس فيه، ما يدل على أن النبي ﷺ رآها كاشفة عن وجهها، وأقرها على ذلك، بل غاية ما يفيده الحديث أن جابرًا رضى الله عنه رأى وجهها، وذلك لا يستلزم كشفها عنه قصدًا، وكم من امرأة يسقط خمارها عن وجهها من غير قصد، فيراه بعض الناس، في تلك الحال.

فعلى المحتجّ بحديث جابر المذكور، أن يثبت أنه ﷺ رآها سافرة، وأقرها على ذلك، ولا سبيل له إلى إثبات ذلك.

وقد روى القصة المذكورة غير جابر، فلم يذكر كشف المرأة المذكورة عن وجهها، وقد ذكر مسلم في صحيحه ممن رواها غير جابر، أبا سعيد الخدري، وابن عباس وابن عمر، وذكره غيره عن غيرهم، ولم يقل أحد ممن روى القصة غير جابر، أنه رأى خدي تلك المرأة السفعاء الخدين، وبذلك يعلم أنه لا دليل على السفور في حديث جابر المذكور، ويفيده ما جاء في إحدى الروايات: سفعاء الخدين هذا كلام القاضي.

وقد يستدلون أيضا بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره: «إلا ما ظهر منها» بالوجه والكفّين، فإن هذا محمول على حالة النساء قبل نزول الحجاب، أما بعد ذلك، فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع. كما هو النصّ الكريم من الآيات الكريمات في الحجاب: في سورة الأحزاب وسورة النور كما مرّ بنا.

أمر الله لنساء المؤمنين

ويدل على أن ابن عباس رضي الله عنهما أراد ذلك ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين، إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على قول ابن عباس هذا: وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيميّة وغيره من أهل العلم والتحقيق، وهو الحق الذي لا ريب فيه، ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة..

ثم قال: والآية المذكورة ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها: حجة ظاهرة، وبرهان قاطع، على تحريم سفور النساء، وتبرّجهن بالزينة.

وفي الختام نقول: إنه في الوقت الذي يرغب، بل يدعو كثير من المسلمين المرأة المسلمة أن تنزع حجاب الحشمة والوقار، الذي هو أمر من الله جلّ وعلا بنصّ صريح في القرآن الكريم. لتتشبه بالمرأة الغربية والشرقية، التي لم تستمد منهجها من تعاليم الإسلام، مثلما قاد هذه الحملة قاسم أمين وغيره، بكتبهم ومقالاتهم، نرى المرأة الغربيّة، تتوق لهذا الحجاب، وترى فيه حماية ووقارًا للمرأة ويدعو إليه بعض عقلائهم أيضا، لما رأوا من أثر السفور والتبرج في مجتمعاتهم من نتائج سيئة ومصائب سببها ذلك التبرج والسفور، ومخالطة المرأة للرجل في ميدان العمل والاختلاط على مقاعد الدراسة، وخاصة في المرحلة الجامعية.

القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا

ومن المناسب في هذا المقام الاستئناس بشيء مما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في دلالة قول الله سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٠]، في إجابة لمن سأله عن أهمية الغطاء على وجه المرأة، وحكم عمل المرأة إذْ قال: ووجه الدلالة في هذه الآية، على وجوب تحجب النساء، وهو ستر الوجه وجميع البدن عن الرجال غير المحارم، أن الله رفع الجناح عن القواعد، اللائي لا يرجون نكاحًا، وهنّ العجائز، إذا كنّ غير متبرجات بزينة، فعلم بذلك أن الشابّات، يجب عليهن الحجاب، وعليهن جناح في تركه، وهكذا العجائز المتبرجات بالزينة، عليهن أن يحتجبن لأنهن فتنة ثم إنه سبحانه أخبر في آخر الآية أن استعفاف النساء القواعد، غير المتبرجات خير لهنّ وما ذاك إلا لكونه أبعد لهن من الفتنة.

نسخ الكشف بآية الحجاب

وقد ثبت عن عائشة رضى الله عنها كما في الصحيحين ما يدل على أن كشف الوجه للمرأة كان في أول الإسلام، ثم نسخ بآية الحجاب، وبذلك يعلم أن حجاب المرأة أمر قديم، من عهد النبي ﷺ. قد فرضه الله سبحانه، وليس من عمل الأتراك.

نسأل الله أن يبصّر المسلمين، بفهم نصوص الله الذي شرع، وحسن الاتباع لسنة نبينا محمد ﷺ، وأن يعين الجميع على إحياء السنة، والبعد عن مضلات الفتن، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق ويصلح شبابهم ونساءهم، وقيادتهم.. وأن يرزقهم العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولى ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحذير تحذير تحذير تحذير

الداعية

من القصص الواهية

الحلقة التاسعة والسبعون

قصة جهاز فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وزفافها

إعداد
علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة والتي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ في مناسبة عقد الزواج، ولئن سألتهم ليقولن بهذه القصة يكون لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في تيسير الزواج ولا يدرون أن القصة واهية، وهذا بيانها.

أولاً: المتن:

رُوي عن عائشة وأمِّ سلمة ـ رضي الله عنهما ـ قالتا: أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نُجهِّزَ فاطمة حتى نُدْخلها على عليٍّ، فعمدنا إلى البيت، فَفَرَشناه ترابا لينًا منْ أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفًا، فنفشناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمرًا وزبيبًا وسقينا ماءً عذبًا وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء، فما رأينا عُرْسا أحسن من عرس فاطمة.

ثانيا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن ماجة في «السنن» (٦١٦/١) ح(١٩١١) قال: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا الفضل بن عبدالله عن جابر، عن الشعبي عن مسروق عن عائشة وأم سلمة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على عليٍّ... الحديث.

ثالثا: التحقيق:

هذا الحديث الذي به هذه القصة (باطل) والقصة واهية.

وفيه علتان:

الأولى: جابر.

١- وهو جابر بن يزيد بن الحارث الجُعْفي أبو عبد الله الكوفي.

قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٨٦٣/٣٠٤/٣): «روى عن: عامر بن شراحيل الشَّعبي... وروى عنه: المُفَضَّل بن عبد الله الكوفي».

٢- **فائدة:** بمقارنة ما جاء في «تهذيب الكمال» للإمام الحافظ المزي بالسند الذي جاء في «سنن ابن ماجة» نجد أن هناك خطأً وقع في السند في «سنن ابن ماجة» ط دار الحديث سنبينه عند الكلام على العلة الثانية.

٣- وجابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي واهٍ عند علماء الجرح والتعديل:

أ- قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (ت/٩٨): «جابر بن يزيد الجُعْفي: متروك. كوفي». اهـ.

قُلْتُ: وهذا المصطلح له معناه عند الإمام النسائي حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص/٧٣): «مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

ب- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (ت/٤٩): «جابر بن يزيد الجعفي: تركه يحيى بن مهدي، قال أبو نعيم: مات سنة ثمان وعشرين ومائة: يروي عن القاسم وعطاء والشعبي... قال بيان: سمعت يحيى بن سعيد يقول: تركنا جابرًا قبل أن يقدم علينا الثوري، وقال أبو سعيد الحداد:

سمعت يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد قال: قال الشعبي: يا جابر لا تموت حتى تكذب على رسول الله ﷺ ! قال إسماعيل: فما مضت الأيام والليالي حتى اتهم بالكذب». اهـ.

جـ- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٠٨/١): «جابر بن يزيد الجعفي من أهل الكوفة كان سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول: إن عليا يرجع إلى الدنيا.

وقال: حدثنا إسحاق بن أحمد القطان بتنيس حدثنا عباس بن محمد سمعت يحيى بن معين يقول: جابر الجعفي لا يكتب حديثه ولا كرامة». اهـ.

د- وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٤٢٥/٣٧٩/١): «جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي أحد علماء الشيعة». اهـ.

و- وأخرج الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٤٠/١٩١/١) قال: حدثنا بشر بن موسى قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان سمعت رجلاً سأل جابرًا الجعفي عن قوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]، قال جابر: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. قال سفيان: كذب. قال الحميدي فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا ؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن عليًا في السحاب، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء، يريد أن عليا ينادي من السحاب: اخرجوا مع فلان، يقول: فهذا تأويل هذه الآية وكذب، هذه كانت في إخوة يوسف.

وأخرج العقيلي قال: حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أتيت جابرًا الجعفي فسمعتُ منه ذاك الكلام يعني: الإيمان بالرجعة.

وأخرج العقيلي قال: حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى بن معين يقول: لم يدع جابر الجعفي ممن رآه إلا زائدة وكان جابر الجعفي كذابًا.

وأخرج العقيلي قال: حدثنا حبان بن إسحاق المَرْوَزي، قال: حدثنا إسحاق بن ناجويه الترمذي قال: حدثنا يحيى بن يعلى قال: سمعت زائدة يقول: جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي ﷺ وأمرنا زائدة أن نترك حديثه.

قلت: والقصة يشم فيها رائحة الوضع من هذا الرافضي السَّبَئي الكذاب.

العلة الثانية: المُفَضَّل بن عبد الله الكوفي:

ولقد حدث تصحيف في سند الحديث الذي جاءت به القصة في «سنن ابن ماجه» طبعة (دار الحديث) (٦١٦/١) (ح١٩١١) لاسم الراوي «المفضل بن عبد الله الكوفي» إلى «الفضل بن عبدالله».

ويحسبه البعض هينًا، ولكنه عند علماء هذا الفن عظيم، حتى أُفْرِدَ بنوع خاص، يتبين ذلك من قول الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٩٣/٢):

النوع الخامس والثلاثون: معرفة المُصَحَّف: هو فن جليل مهم وإنما يحققه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم وله فيه تصنيف مفيد وكذلك أبو أحمد العسكري». اهـ.

قلت: وكذلك «إصلاح خطأ المحدثين للخطابي».

ونبين للقارئ الكريم في اختصار شديد هذا النوع من أنواع الحديث حتى يتبين له ما نقول:

١- فالمصحَّف اصطلاحًا هو تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثقات لفظًا أو معنى.

٢- أقسامه: قسم العلماء المصحَّف إلى ثلاثة تقسيمات كل تقسيم باعتبار؛ الاعتبار الأول (الموقع).

باعتبار موقعه ينقسم المصحف إلى قسمين هما: تصحيف في الإسناد، وتصحيف في المتن.

الاعتبار الثاني (المنشأ).

باعتبار منشئه ينقسم المصحف إلى قسمين هما: تصحيف بصر، وتصحيف سمع.

الاعتبار الثالث (لفظه أو معناه).

باعتبار لفظه أو معناه ينقسم المصحف إلى قسمين هما: تصحيف في لفظ، وتصحيف في المعنى، وبتطبيق هذه الاعتبارات على ما جاء من تصحيف في سند القصة في «سنن ابن ماجة» نجد أن التصحيف تصحيف إسناد حيث وقع في الإسناد ولم يقع في المتن، وتصحيف بصر حيث اشتبه الخط على بصر القارئ عند نقله من المخطوطة إلى المطبوعة، وتصحيف لفظ حيث حدث التغيير في اللفظ.

٣- كيفية اكتشاف هذا التصحيف:

أ- لما كان التصحيف تصحيف إسناد فالسند الذي جاءت به القصة في «سنن ابن ماجة» طبعة دار الحديث (٦١٦/١) ح(١٩١١) وفي صدر هذا الجزء «حقق نصوصه، ورقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه، وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي».

قال الإمام ابن ماجة: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا الفَضْل بن عبد الله، عن جابر عن الشَّعبي عن مسروق، عن عائشة وأم سلمة قالتا: أمرنا رسول الله ﷺ... الحديث.

ب- التحقيق التحليلي للإسناد.

١- بالرجوع إلى رواة الحديث للكتب الستة والبحث في من اسمه الفضل نجد أن عددهم تسعة وعشرون راويًا؛ كذا في «التقريب» (١٠٩/١ - ١١٢) قال الحافظ ابن حجر: ذكر من اسمه الفضل: فبدأ بالفضل بن جعفر بن عبد الله البغدادي (أبو سهل) برقم (٣١) وانتهى بالفضل بن يعقوب الجُعفي الكوفي (أبو العباس) برقم (٥٩).

من هذا يتبين أن عدد من اسمه الفضل ٢٩ راويًا.

٢- بالبحث عن الراوي الفضل بن عبد الله الذي جاء في السند لم نجد في التسعة والعشرين راويًا من اسمه الفضل بن عبد الله، وهذا يؤدي إلى عدم معرفة مرتبة الراوي من الجرح والتعديل.

٣- ولما كان السند فيه «حدثنا الفَضْل بن عبدالله عن جابر»، وبالبحث فيمن روى عن جابر في «تهذيب الكمال» (٣٠٤/٣) من رواة الحديث في الكتب الستة تبين أن عددهم تسعة عشر راويًا لم يكن فيهم ما يسمى بالفضل بن عبد الله.

ولكن تبين أن من روى عن جابر الجعفي الكوفي هو «المفضل بن عبد الله الكوفي»، فتبين أن هناك تصحيفًا في السند: «المُفَضَّل بن عبد الله» إلى «الفضل

بن عبد الله».

٤- بالبحث للتأكيد من هذا التصحيف قمنا بالبحث عن شيوخ (المُفضَّل بن عبد الله) وتلاميذه أي من روى عنهم (المفضل) ومن رووا عنه.

فبالبحث في «تهذيب الكمال» (٦٧٤٢/٣٢٧/١٨): نجد المفضل روى عن: جابر الجعفي، ونجد المفضل روى عنه: سُويد بن سعيد الحدثاني.

٥- وبهذا يصبح السند الحقيقي لحديث القصة في «سنن ابن ماجه» حدثنا سُوَيْدُ بْنُ سعيدٍ، حدثنا المُفَضَّلُ بنُ عَبدِ اللَّهِ، عن جابرٍ، عن الشَّعْبِيِّ، عن مَسْرُوقٍ، عن عَائِشَةَ وأُمِّ سلمة به.

٦- والدليل على ذلك ما أورده الإمام المزي في «تحفة الأشراف» (٣١٦/١٢) ح(١٧٦٣١) حيث قال: حديث: أمرنا رسول الله ﷺ أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على عليّ... الحديث (ابن ماجة) في النكاح (٢٤: ٥) عن سويد بن سعيد، عن المفضل بن عبد الله، عن جابر الجعفي، عن الشعبي، عن مسروق عن عائشة وأم سلمة به.

٧- ولقد بيّن الشيخ الألباني - رحمه الله - أن الحديث الذي جاءت به هذه القصة غير صحيح حيث أورد الحديث في «ضعيف سنن ابن ماجة» (ح٤١٩)، والكتاب طبعة المكتب الإسلامي وأشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته زهير الشاويش، ومع هذا جاء السند مصحفًا، فقد صُحّف (المُفَضَّل بن عبد الله) إلى (الفضل بن عبدالله) الذي لا يوجد في رواة الكتب الستة.

٨- وأورده الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣١٩/٨) وقال: «مُفَضَّل بن عبد الله الكوفي روى عن جابر الجعفي روى عنه سويد بن سعيد، سمعت أبي يقول ذلك ويقول: هو ضعيف الحديث». اهـ.

٩- وأقر هذا التضعيف الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٧٣٠/١٦٩/٤).

١٠- وأورده الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٧١/٢) وقال: «المفضل بن عبد الله الكوفي، ضعيف».

قُلْتُ: وبهاتين العلتين: جابر الجعفي الكوفي الرافضي السبئي الكذاب، والراوي عنه المفضل بن عبد الله الكوفي الضعيف يكون السند تالفًا والقصة واهية.

رابعًا: زفاف فاطمة بنت النبي ﷺ:

١- وكما وضع الوضاعون هذه القصة الواهية حول جهاز فاطمة رضي الله عنها وضعوا أيضًا في زفافها قصة واهية هذا متنها:

رُوي عن أسماء بنت عميس - رضي الله عنها - قالت: «يا رسول الله، خطب إليك فاطمة ذوو الأسنان والأموال من قريش فلم تزوجهم وزوجتها هذا الغلام، فلما كان من الليل بعث رسول الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقال: ائتني ببغلتي الشهباء، فأتاه بها فحمل عليها فاطمة، وكان سلمان يقودها ورسول الله ﷺ يسوقها، فبينا هو كذلك إذ سمع حسًا خلف ظهره فالتفت فإذا هو بجبريل وميكائيل وإسرافيل وجمع من الملائكة كثير، فقال: يا جبريل، ما أنزلكم؟ قالوا: أنزلنا نزف فاطمة إلى زوجها، فكبر جبريل، ثم كبر ميكائيل، ثم كبر إسرافيل، ثم كبرت الملائكة، ثم كبر النبي ﷺ، ثم كبر سلمان فصار التكبير خلف العرائس سنة من تلك الليلة، فجاء بها فأدخلها إلى عليّ وأجلسها إلى جنبه على الحصير، ثم قال: يا عليّ هذه مني فمن أكرمها فقد أكرمني ومن أهانها فقد أهانني، ثم قال: اللهم بارك عليهما واجعل بينهما ذرية طيبة إنك سميع الدعاء».

٢- التخريج: الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٢٠/١) قال: أنبأنا محمد بن ناصر، أنبأنا أحمد بن الحسن بن البنا، أنبأنا أبو الحسن بن الحمامي أنبأنا أبو بكر الآجري حدثنا أبو عبد الله بن مخلد، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أنس بن القرمطي، حدثنا معبد بن عمرو البصري حدثنا جعفر عن آبائه أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله... القصة.

٣- التحقيق:

أ- هذه القصة أيضًا واهية والحديث الذي جاءت به هذه القصة واهٍ، حيث قال الإمام ابن الجوزي: هذا حديث موضوع لا شك فيه، ولقد أبدع الذي وضعه، أتراها إلى أين ركبت وبين البيتين خطوات؟ وقوله: الرسول ﷺ يسوقها وسلمان يقودها؛ سوء أدب من الواضع وجرأة؛ إذ جعل رسول الله ﷺ سائقًا، وما يتعدى هذا الحديث القرمطي أو معبدًا أن يكون أحدهما وضعه». اهـ.

ب- قلت: والقصة أوردها ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٣١٢/١) وقال: أخرجها الآجري من طريق معبد بن عمرو البصري، وعنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن أنس القرمطي وما يتعدى وضعه أحدهما فلعنة الله على واضعه.

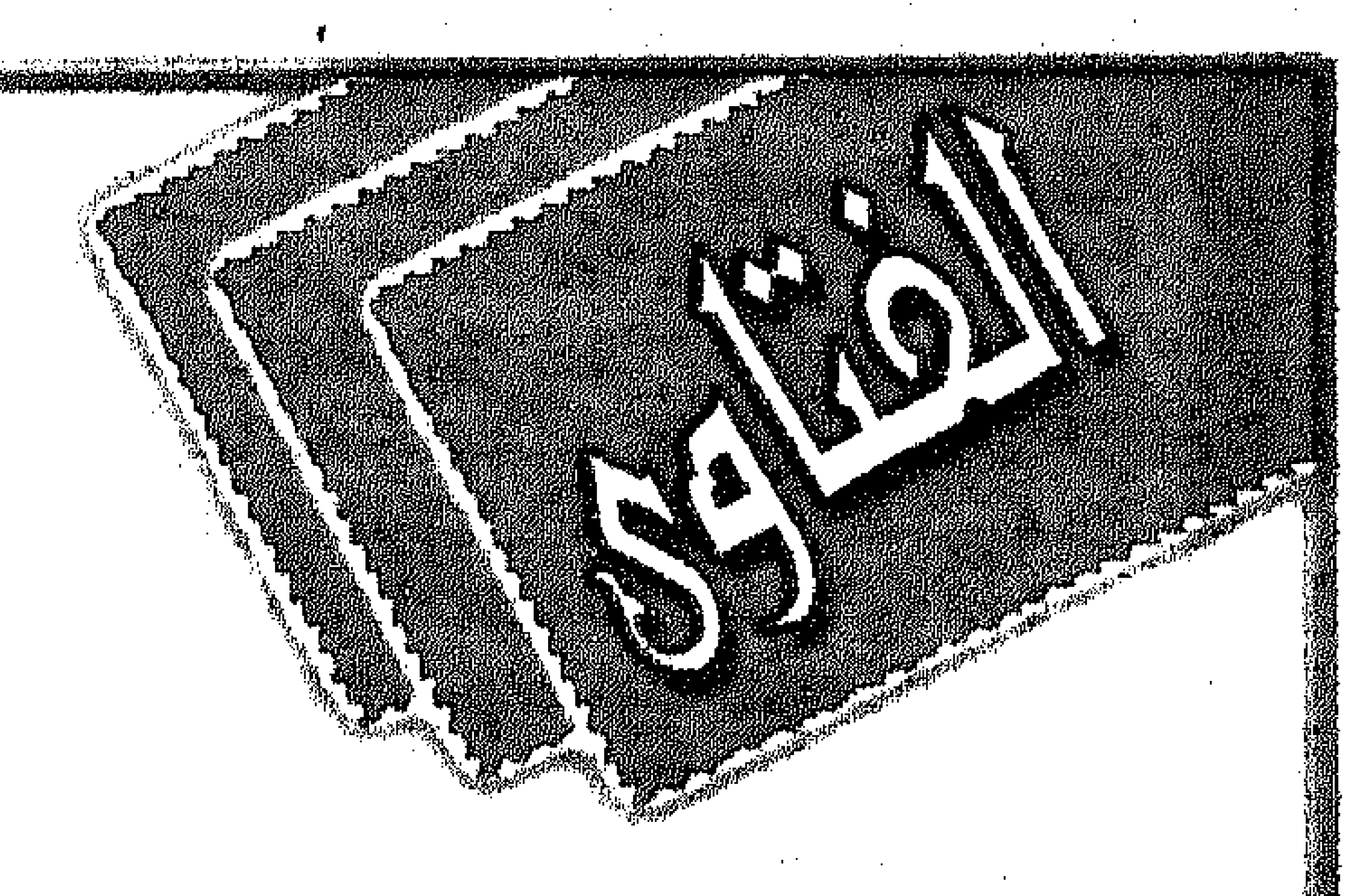
قلت: وابن عراق بهذا يكون قد أقر ابن الجوزي على علته، وأقره أيضًا على نكارة المتن، حيث قال ابن عراق: «أتراها إلى أين ركبت وبين البيتين خطوات؟ ثم ما كفاه حتى جعل بسوء أدبه وجرأته رسول الله ﷺ سائقًا». اهـ.

جـ- ومعبد بن عمرو أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٤٤/١٤١/٤) وقال: «معبد بن عمرو عن جعفر الضُّبعي، عن جعفر بن محمد الصادق بخبر كذب في زفاف فاطمة، رواه عنه أحمد بن محمد بن أنس القرمطي: وضعه أحدهما وهو طويل أخرجه ابن بطة، عن محمد بن مخلد عن القرمطي».

د- وأقره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٧٠/٦) (٨٤٦٣/١٦٧٨) حيث قال: «معبد بن عمرو عن جعفر الضبعي، عن جعفر بن محمد الصادق، بخبر كذب في زفاف فاطمة - رواه عنه أحمد بن محمد بن أنس القرمطي. انتهى.

وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وقال: وضعه أحدهما.

قلت: بهذا التحقيق يتبين للقارئ الكريم أن قصة جهاز فاطمة بنت النبي ﷺ - التي بين أيدينا - وزفافها قصة واهية من وضع الروافض، وبهذا البحث العلمي يتبين أن القصة لم تصح عن النبي ﷺ.



تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

الشفع والوتر

يسأل السيد حمدان إمبابي من قوص - طوخ - نجع الترعة - قنا يقول:

يقف بعض الناس بعد صلاة سنة العشاء البعدية فيصلي ركعتين يسميهما شفعًا ثم يقوم ليصلي ركعة وترًا، فما حقيقة صلاة الشفع هذه؟

الجواب: وردت عبارة الشفع والوتر في القرآن الكريم في سورة الفجر من قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣] واختلف العلماء في تفسيرها على أقوال كثيرة لكن أكثر هذه الأقوال على أن الشفع يدل على الزوج والوتر يدل على ما ليس بزوج، حتى قال بعضهم: الشفع هو خلق الله لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٨] والوتر هو الله تعالى لقوله ﷺ: «إن الله وتر» في الصحيح، وقال بعضهم الشفع هو الصلاة الزوجية كالرباعية والثنائية والوتر هو الصلاة الفردية كالمغرب. ويؤيد هذا قول ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يفصل بين الشفع والوتر بتسليمة يُسمعناها (أي: في صلاة الليل). [رواه أحمد وصححه الألباني]

وعليه فلا حرج إذا قال المصلي بعد صلاته السنة الراتبة بعد العشاء: سأصلي الشفع أو سأصلي ركعتين شفعًا ثم يوتر بعدها.

الصلاة خلف الفاسق والمبتدع

يسأل سائل: ما حكم الصلاة خلف إمام مبتدع وعنده اعتقادات فاسدة وكذلك خلف الفاسق؟

الجواب: قال الصنعاني في سبل السلام جـ١: ذهبت الشافعية والحنفية إلى صحة إمامة الفاسق مستدلين بحديث ابن عمر وغيره وهي أحاديث كثيرة دالة على صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر، إلا أنها كلها ضعيفة، وقد عارضها حديث «لا يؤمنكم ذو جرأة في دينه» ونحوه، وهي أيضا ضعيفة، قالوا: فلما ضعفت الأحاديث من الجانبين رجعنا إلى الأصل، وهو أن من صحت صلاته صحت إمامته، وأيد ذلك فعل الصحابة. فإنه أخرج البخاري في التاريخ عن عبد الكريم أنه قال: «أدركت عشرة من أصحاب النبي ﷺ يصلون خلف أئمة الجور» ويؤيده أيضا حديث مسلم: «وكيف أنت إذا كان عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يميتون الصلاة عن وقتها؟ قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلِّ فإنها لك نافلة» فقد أذن بالصلاة خلفهم وجعلها نافلة لأنهم أخرجوها عن وقتها وظاهرهُ أنهم لو صلوها في وقتها لكان مأمورًا بصلاتها خلفهم فريضة. آهـ.

وأما المالكية فقالوا: إمامة الفاسق مكروهة ولو لمثله، وكذا تكره إمامة المبتدع إذا كانت بدعته غير مكفرة باتفاق، أما الحنابلة فقالوا: تجوز إمامته للضرورة كجمعة أو عيد إذا تعذرت الصلاة خلف غيره. [الفقه على المذاهب الأربعة ج١] انتهى. والبدع المكفرة كبدع الروافض الذين يقولون بأن القرآن محرف وليس هو القرآن كله الذين أنزله الله تعالى، كما يسبون الصحابة الذين أثنى عليهم القرآن ومدحهم، ومن البدع المكفرة أيضا بدع غلاة الصوفية الذين يزعمون أن للكون أقطابًا من مشايخهم يشرفون على حركة الكون ونظامه ويعلمون غيوبًا لا يعلمها الناس، وأن الله يحل في مخلوقاته وتعرف هذه الطائفة بالحلولية فأمثال هؤلاء لا يجوز الصلاة خلفهم.

خواتيم العمل

يسأل سائل: نرجو شرح حديث «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها الخ».

الجواب: الحديث في الصحيحين وغيرهما ولفظه: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة».

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: في الحديث التحذير من الاغترار بالأعمال، وأنه ينبغي للعبد أن لا يتكل عليها ولا يركن إليها مخافة من انقلاب الحال للقَدَر السابق، وكذا للعاصي ألا يقنط، ولغيره ألا يقنِّطه من رحمة الله تعالى، ومعنى قوله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وكذا عكسه؛ أن هذا قد يقع. انتهى.

وقد ذكر النبي ﷺ هذا الحديث عندما رأى أصحابه رجلا اجتهد في قتال العدو اجتهادا عظيما بهر أصحابه، وعلم النبي ﷺ بالوحي أنه في النار فتعجب أصحابه فتابعوه إلى آخر أمره فوجدوه قد أصابه جرح فاستعجل الموت فقتل نفسه. ومثله في الصحيحين وغيرهما، الرجل

الذي جاءه سهم أصابه في فتح خيبر فقتله فقال الناس: هنيئا له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا». وكان الرجل قد أخذ الشملة قبل توزيع الغنائم.

والمقصد أن الرجل يعمل فيما يبدو للناس خيرا أو شرًا، والناس لا يعلمون السرائر وما تضمر النفوس ويدخل في هذا أيضا المنافق الذي يظهر العمل الصالح أمام الناس؛ ويبطن السوء والكفر، فربما كشفه الله تعالى في دنياه بعمل من عمل أهل النار يموت عليه. والله أعلم. مع العلم انه ما جرت عادة الله بإضلال إنسان مجتهد في طاعته، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

اعتقادات فاسدة

يسأل سائل: هل صحيح أن المرأة إذا ولدت ودخل عليها من هو حالق رأسه أو من يحمل لحمًا، أو أتى من المقابر فإن ذلك يسبب جفاف لبنها، وعندنا من يقول بأن المرأة إذا مات لها ولد ثم تأخرت في الحمل فإنها تذهب إلى المقابر وتنبش عن ولدها لاعتقادها أنه دفن على وجهه فتعيده على جنبه وتتخطاه سبعًا.

الجواب: هذا اعتقاد النفع والضر فيما لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا وذلك من الشرك الأكبر، ويحتاج إلى توضيح هذه الاعتقادات وبيان فسادها، والله تعالى يقول في كتابه الكريم ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] إلى آخر ذلك من الآيات الدالة على أن النفع والضر بيد الله سبحانه، ولا يكشف الضر والسوء إلا الله سبحانه وتعالى.

العقيقة للكبير

يسأل سائل: لو أن حالة الأب لا تسمح بأن يعق عن ولده؛ فهل يجوز أن يعق بعد سنة أو سنتين من عمر الطفل أم لها وقت محدد؟

الجواب: عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «الغلام مرتهن بعقيقته تُذبح عنه يوم السابع ويسمى ويحلق رأسه». [أخرجه أصحاب السنن والترمذي ١٥٢٢ وقال حسن صحيح]، قيل معنى (مرتهن) إن شفاعته لأبويه يوم القيامة متوقفة عليها.

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم؛ يستحبون أن يذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع، فإن لم يتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر، فإن لم يتهيأ عق عنه يوم حادٍ وعشرين، وقالوا: لا يجزئ في العقيقة إلا ما يجزئ في الأضحية. انتهى. وللعلماء خلاف مشهور حول ذلك؛ والحنابلة لهم روايات في اعتبار الأسابيع بعد ذلك، والشافعية قالوا: إن ذكر السابع للاختيار لا للتعيين، وقال الشافعي: إنها لا تؤخر عن السابع اختيارا، فإن تأخرت إلى البلوغ سقطت عمن كان يريد أن يعق عنه. [نيل الأوطار ج٥]

والذي يظهر والله أعلم أن من لم يتمكن من العقيقة يوم السابع فيمكنه فعلها عند تيسرها ما دام الطفل صغيرًا لم يبلغ الحلم، فإذا بلغ سقطت.

فإذا بلغ ولم يعق عنه أبوه، واستطاع أن يعق عن نفسه استحب له ذلك، لأنه ثبت أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد البعثة.

الأكل عند المريض

يسأل سائل: ما صحة الحديث: «إذا عاد أحدكم مريضًا فلا يأكل عنده شيئًا فإنه حظه من عيادته»؟

الجواب: الحديث ضعيف جدا. هكذا قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة برقم ٢٢٨٨ وأصل الحديث أخرجه الديلمي في الفردوس عن أبي أمامة.

صلاة الرجل بالقفاز

كما يسأل عن حكم صلاة الرجل بالقفاز (الجوانتي)؟

الجواب: صلاة الرجل في القُفَّازين (وهما لباس الكفين) جائزة، لأن أعضاء السجود السبعة لا يجب كشفها في الصلاة، فكما يصلي الرجل بالجوربين، ويصلي مستور الركبتين، فكذلك يصلي مستور الكفين، ويرد في قول الفقهاء: «ولا يجوز المسح على القفازين وهما لباس الكفين» وفي هذا دلالة على أن لبس القفازين لا حرج فيه أثناء الصلاة للرجل أو للمرأة.

فضلا أنه لم يرد في الشرع ما يمنع ذلك أثناء الصلاة أو خارجها، كما مُنعت المرأة من لبس القفازين حال إحرامها.

حول مسألة الحياء في الطب



إعداد / د. حسن إبراهيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

فقد روى الشيخان البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «الحياءُ لا يأتي إلا بخير». وفي رواية لمسلم: «الحياءُ خيرٌ كله». أو قال: «الحياءُ كُلُّه خَير».

قال العلماء عليهم رحمة الله: «الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنعُ من التقصير في حق ذي الحق».

الحياء شعبة من شعب الإيمان

والحياء شعبة من شعب الإيمان يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ (أو بِضْعٌ وسِتُّونَ) شُعْبَة- فأَفْضَلُها قَولُ لاَ إلَه إلاَّ الله، وأَدْنَاها إمَاطَةُ الأَذَى عن الطَّرِيق، والحياءُ شُعبةٌ مِنْ الإيمَان». [متفق عليه]

ولقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس حياءً حتى إنه كان أشد حياءً من الفتاة العذراء في سترها.

روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «كَانَ رَسولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ العَذْرَاء في خدرها، فإذا رأى شَيئًا يَكْرَهُه عَرَفْنَاه في وجهه».

ولقد كان نبي الله موسى بن عمران عليه السلام شديد الحياء ستيرًا لا يكاد يُظْهِر شيئًا من جلده حتى آذاه بنو إسرائيل: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

ويقول بعض كبار الأطباء: «لا حياء في الطب».

فأيهما نتبع: كلام سيد ولد آدم عليهما السلام ؟ أم كلام بعض كبار الأطباء (وصغارهم) من المفتونين؟ إن الذي يؤسف له أن عامة الناس أعرضوا عن كلام الحبيب المصطفى ﷺ وخلعوا (برقع الحياء) وتجردوا بذلك من شعبة من شعب الإيمان، واتبعوا ضلالات بعض الأطباء الذين زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا، حتى أصبح المنكر معروفًا.

ومن أمثلة ذلك:

التجرد من شعب الإيمان

أولاً: كثير من النساء إذا مرضت إحداهن لا تبالي بالتداوي لدى طبيب رجل، ويزداد الطين بلة إذا كان هذا الطبيب غير مسلم، وفي أهون الأمراض يطلب منها الطبيب أن يكشف صدرها في حضور زوجها أو في عدم حضوره (إن كانت متزوجة)، ويصل الأمر إلى حد كشف العورة حين الولادة أو عند إجراء عملية جراحية في منطقة العورة، أو في غير ذلك من الحالات، وتزداد حسرة المؤمن الغيور عندما يحدث ذلك في مستشفى تعليمي حيث يأتي طلاب كلية الطب أفواجًا وجماعات فيطلعون على عورة تلك المرأة التي تجردت من شعبة من شعب الإيمان، مع أن الطبيبات كثيرات في أغلب فروع الطب بدءًا من تخصص الأمراض الباطنية ومرورًا بأمراض النساء والتوليد، بل إن بعض التخصصات في مهنة الطب تزيد فيها نسبة الطبيبات على نسبة

الأطباء.

ولكن الذي يدفع أغلب النساء إلى عدم المبالاة هو إما البخل الشديد، أو قلة ذات اليد، فتلجأ المرأة إلى إحدى المستشفيات الحكومية سعيًا وراء العلاج المجاني، وكثيرًا ما تجد الطبيب يقوم بتوليد ابنته أو أخته أو ربما أمه أو زوجة أخيه أو أخت زوجته أو جارته أو زميلته أو زوجة صديقه أو... أو... على الحياء والمروءة والفضيلة!

الحجة الداحضة بأن الأطباء أمهر من الطبيبات

السبب الثاني: هو زعم أغلب النساء أن الأطباء أمهر من الطبيبات، وهذه الحجة داحضة، وإلا فما هو المبرر لالتحاق البنات بالدراسة في كليات الطب؟ ثم إن أغلب الحالات تكون غير مستعصية بحيث لا تحتاج إلى مهارة شديدة في مهنة الطب: مثل الأمراض الباطنية الشائعة، ومثل حالات الولادة ومتابعة الحمل، حيث كانت القابلة (ومازالت) تقوم بتلك المهمة (بنجاح) على مر العصور، ونحمد الله أن لدينا الآن طبيبات يمكنهن إجراء العملية القيصرية في حالات الولادة المتعسرة.

الطالبات في كلية الطب والاطلاع على عورات الرجال

السبب الثالث: هو أن بعض النساء عندهن ميل شديد للتكشف أمام الرجال، وفي مقابل ذلك فهناك نساء أخريات فضليات توقع الواحدة منهن على إقرار بعدم إدخال أي طبيب رجل عليها مهما كانت الظروف أثناء الولادة أو أثناء إجراء أي عملية جراحية أخرى حتى لو أدى ذلك إلى موتها أثناء إجراء العملية أو بعدها، ومثل هذه المرأة المتسترة يحفظها الله ولا يخذلها حيث علم صدقها، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ثانيًا: الطالبة في كلية الطب تطلع على عورات الرجال الأموات والمرضى، بل وتمسها في حصص التشريح وفي حصص الجراحة والأمراض الجلدية والتناسلية وغيرها (وأثناء الامتحانات الشفوية)، وذلك أمام زملائها الذكور، بل وربما أمام أقارب المتوفى أو المريض، وأحيانًا يكون الأستاذ هو أبوها أو أخوها أو جارها أو... أو... وفي ذلك إهدار للمروءة وإعدام للحياء لدى الطالبة ولدى أبيها وأخيها وزوجها، ثم إذا تخرجت الطالبة وأصبحت طبيبة وعملت بأحد المستشفيات الحكومية فإنها كثيرًا ما تضطر (طوعًا أو كرهًا) للكشف على الرجال والاطلاع على عوراتهم ومسها.

ولقد سألت والد إحدى طالبات الطب: «هل تطيب نفسك أن ترى ابنتك (العذراء) تطلع على عورات الرجال وتمسها؟» فقال بالحرف الواحد: «هل من بديل؟».

إجابة محزنة: والحقيقة أن فقدان المروءة والفضيلة والحياء هو الذي يسوغ لمثل هذا الأب أن يشجع ابنته على مثل هذه الفضائح في سبيل «البالطو الأبيض» وفي سبيل مائة وعشرين جنيهًا في آخر كل شهر، والله تعالى يقول: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]. والرسول ﷺ يقول: «تَعِسَ عَبْدُ الدينَارِ وَعَبْدُ الدِرْهَم». [رواه البخاري]

ثالثًا: الطبيبة التي تعمل في مستشفى تضطر إلى المبيت بالمستشفى ليلة في كل أسبوع (مثلاً) خلال الوردية الليلة التي تكون بالتناوب، وتقضي ليلتها بلا محرم مع زميلها أو مع مريضها أو مع غيرهما من موظفي المستشفى وعماله، هل هذا يرضي الله ؟ واإسلاماه!!

طالبة مدرسة التمريض والانسلاخ من الحياء

رابعًا: طالبة مدرسة التمريض يتم تدريبها على الانسلاخ التام من الحياء ومن الأدب (بمجرد إتمام الدراسة الابتدائية (يعني وهي في الثانية عشرة من عمرها) أو بعد إتمام الدراسة الإعدادية (أي عندما تصل إلى الخامسة عشرة من عمرها) أو بعد حصولها على شهادة الثانوية العامة والتحاقها بكلية التمريض (وهي في الثامنة عشرة من عمرها).

وهي إذ ذاك تتعرض يوميًا (منذ صغرها) للاطلاع على عورات الرجال من المرضى والموتى أكثر من طالبات كلية الطب، ولقد سألت أحد أساتذة الطب: «هل هناك رجل يقبل الزواج من الممرضة والحال هكذا؟» فكان رده: «كلهن متزوجات».

ويبلغ الضلال مداه حينما ترى الممرضة تقوم بتغيير ملابس المريض وتكشف عورته أمام أولاده (أو إخوته) الذكور في حين أنهم يستطيعون القيام بتلك المهمة اليسيرة التي لا تحتاج إلى خبرة، ولكنه التسيب والتبلد والرضا بالمنكر والسكوت عنه.

ثم إن الإنسان ليكاد يصعق عندما يرى عاملة النظافة أو عاملة المطبخ تبقى في حجرة المريض أثناء كشف عورته ولا تسارع إلى الخروج حيث لا ضرورة لوجودها البتة في ذلك الوقت، وكأن العمل بالمستشفى يبيح المحظورات!!

ولقد دخلت إحدى النساء إلى مستشفى خاص للكشف في قسم أمراض البطن ظنًا منها أنها ستجد امرأة طبيبة فوجدت طبيبًا رجلاً ومعه طبيب آخر صديق يحادثه، فرجعت، فلما رأى المرأة رجعت قال: ادخلي يا مدام فهو طبيب مثلي، فسبحان الله امرأة تستحي، وطبيب متخرج في كلية الطب لا يفهم في

الحياء شيئًا، لدرجة أنه يعتبر أن وجود طبيب آخر- لا ضرورة لوجوده- كأنه محرم للمرأة أو معه حصانة ضد الحياء فلا يستحيي منه، لمجرد أنه طبيب، والحقيقة أن أمثال هؤلاء ضيعوا الحياء وفقدوه، وإذا لم تستح فاصنع ما شئت.

ما السبب؟

صيانة عورات المسلمين والمسلمات من الابتذال

لا شك أنه يتعين على المسلمين بذل كل الجهود لصيانة عورات المسلمين والمسلمات من الابتذال، وعلى كل ذي مال وعلى كل ذي فكر أن يدلي بدلوه على النحو التالي:

إحياء خلق الحياء

١- تكريس الحاجز النفسي بين المرأة والرجل وإحياء خلق الحياء لدى الرجال والنساء بحيث إن قطع رقبة الرجل يكون أهون عليه من أن ترى عورته امرأة غير زوجته، بل يحفظ عورته عن سائر الرجال إلا لضرورة قهرية، وكذلك المرأة أهون عليها أن تموت ولا يرى عورتها (ولا أي شيء من بدنها) رجل غير زوجها، بل وتحجب عورتها وزينتها عن سائر النساء (خصوصًا الكافرات والفاسقات) إلا لضرورة، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥- ٧].

ويقول أيضًا: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

قال العلماء عليهم رحمة الله: «حفظ الفروج هو صيانتها عن الزنا وعن الاستمناء وعن الكشف لغير الأزواج».

اقتصار النساء على تطبيب النساء

٢- ضرورة أن تقتصر النساء على تطبيب النساء وتمريضهن، وأن يقتصر الرجال على تطبيب الرجال وتمريضهم إلا أن تكون هناك ضرورة ملحة، يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

لأن ما يحدث في مهنة الطب- بل وفي كليات الطب الآن هو عين الفوضى، بل وعين الانسلاخ من الحياء ومن المروءة والفضيلة، بل هو مروق من الدين.

ونحمد الله أن هناك من الطبيبات (في كثير من التخصصات) من تكتب على باب عيادتها لافتة تقول: «للنساء والأطفال فقط».

وفي مقابل ذلك فإن أحد كبار أساتذة قسم أمراض النساء والولادة في إحدى كليات الطب أقسم أنه لن يسمح لأي طالبة (أو معيدة) بدخول قسم أمراض النساء في تلك الكلية طالما أنه على قيد الحياة.

وبالفعل لم يتم رفع ذلك الحظر الجهنمي إلا بعد هلاك ذلك الأستاذ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تشجيع إنشاء المستشفيات النسائية

٣- تشجيع إنشاء المستشفيات النسائية الخالصة التي لا يدخل من بابها إلا النساء فقط (مريضة- طبيبة- ممرضة- موظفة- عاملة... إلخ). ويقوم ولي المرأة بتسليمها لإدارة المستشفى عند البوابة ثم ينصرف، ثم تقوم إدارة المستشفى بالاتصال به للحضور لتسلمها فور انتهاء الكشف عليها أو فور انتهاء إقامتها بالمستشفى إن كانت تحتاج إلى إقامة.

وعلى حد علمي فإن أول مستشفى نسائي في العالم تم إنشاؤه في لندن! ثم توالى إنشاء المستشفيات النسائية في الأردن وفي جدة ثم في القاهرة (مستشفى العزيز بالله بالزيتون)، أكثر الله المستشفيات النسائية في بلاد المسلمين، اللهم آمين.

فضائح توفير الجثث والهياكل للطلبة

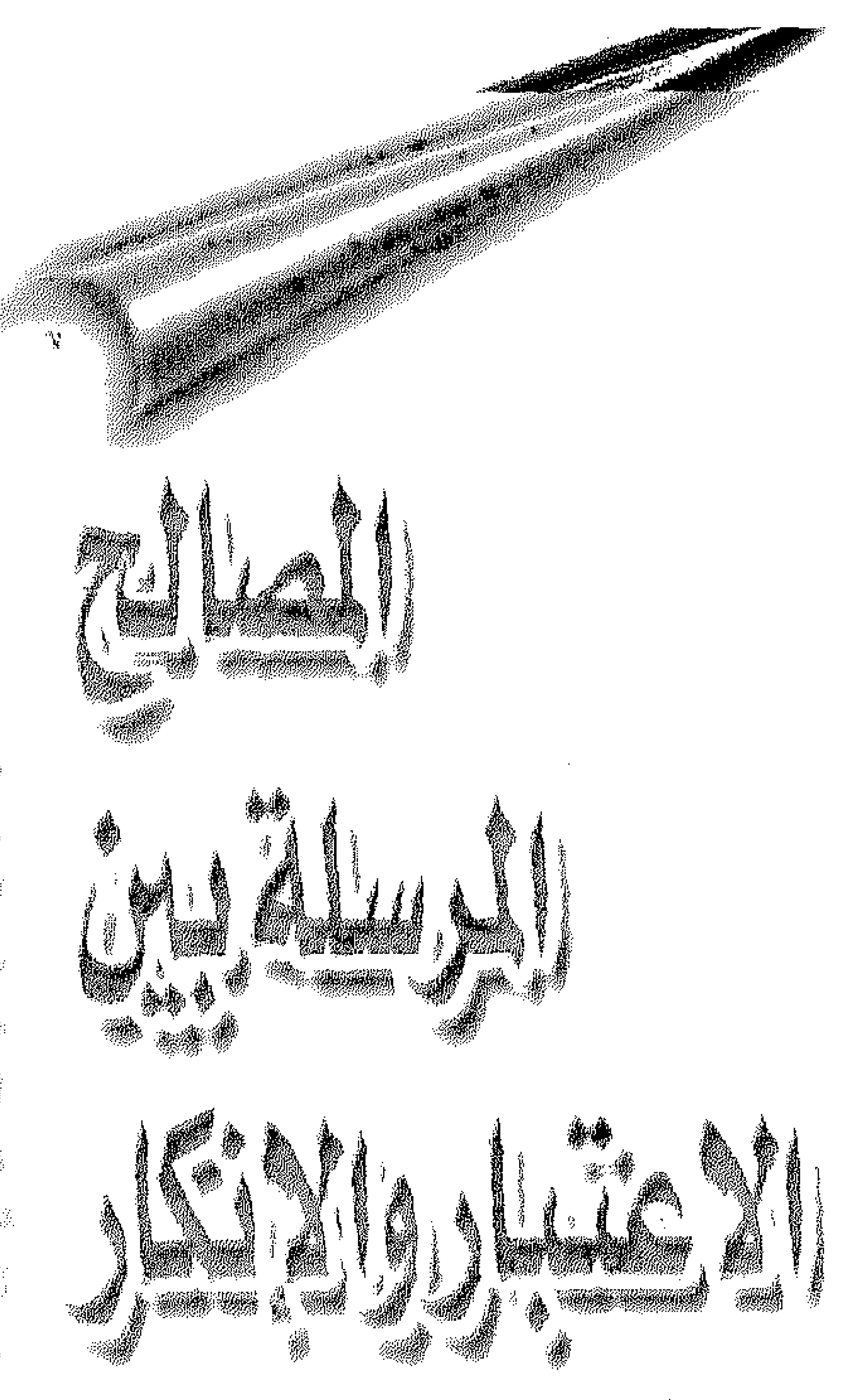
٤- ومن الفضائح التي تحدث في كليات الطب عملية توفير الجثث والهياكل العظمية للطلاب، فعلى سبيل المثال يحتاج طلاب كلية طب قصر العيني وحدها إلى (٨٠٠ ثمانمائة) هيكل عظمي سنويًا يتم الحصول عليها من قتلى حوادث المرور الذين يصلون إلى المستشفى ولا يدركهم أهلوهم في خلال ٢٤ ساعة، وكذلك من المحكوم عليهم بالإعدام- أو غير ذلك- بطُرُقٍ وحشية، حيث يوضع القتيل في الغلاية ويبقى بها حتى ينضج لحمه، ثم يتم التخلص من اللحم والمرق بطريقة مهينة، ثم يباع الهيكل بستين جنيهًا (مثلاً).

وفي مقابل ذلك فإن التشريح محرم في إسرائيل، وتوجد بها وبالبلاد المتحضرة الأخرى التي تراعي حقوق الإنسان (من رعاياها)، توجد هياكل عظيمة صناعية (من البلاستيك) يتدرب عليها طلاب كليات الطب.

لذا نناشد كل ذي رأي سديد من علماء الدين وعلماء الطب الاجتهاد في البحث عن طريقة آدمية (مشروعة) لتوفير الجثث والهياكل العظيمة بغرض التعليم في كليات الطب.

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤].

والحمد لله رب العالمين.



المصالح المرسلة بين الاعتبار والإنكار

إعداد

المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فقد تكلم الأصوليون عن المصالح المرسلة في كتبهم وكثر الحديث عن حجيتها وبناء الأحكام عليها، ولنا مع المصالح المرسلة الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: أوجه التلازم بين المصلحة والشريعة

وبيان ذلك في أربعة أمور بعضها مبني على بعض:

الأمر الأول: أن هذه الشريعة مبنية على تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة، فالشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة، وهذا الأصل شامل لجميع الشريعة لا يشذ عنه شيء من أحكامها.

الأمر الثاني: أن هذه الشريعة لم تهمل مصلحة قط، فما من خير إلا وقد حثنا عليه النبي ﷺ، وما من شر إلا وحذرنا منه.

الأمر الثالث: إذا عُلم ذلك فلا يمكن أن يقع تعارض بين الشرع والمصلحة، إذ لا يتصور أن ينهى الشارع عما مصلحته راجحة أو خالصة، ولا أن يأمر بما مفسدته راجحة أو خالصة.

الأمر الرابع: إذا علم ذلك فمن ادعى وجود مصلحة لم يرد بها الشرع فأحد الأمرين لازم له:

إما أن الشرع دل على هذه المصلحة من حيث لا يعلم هذا المدعي، وإما أن ما اعتقده مصلحة ليس بمصلحة، فإن بعض ما يراه الناس من الأعمال مقربًا إلى الله، ولم يشرعه الله، فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا لو كان نفعه أعظم لم يهمله الشارع.

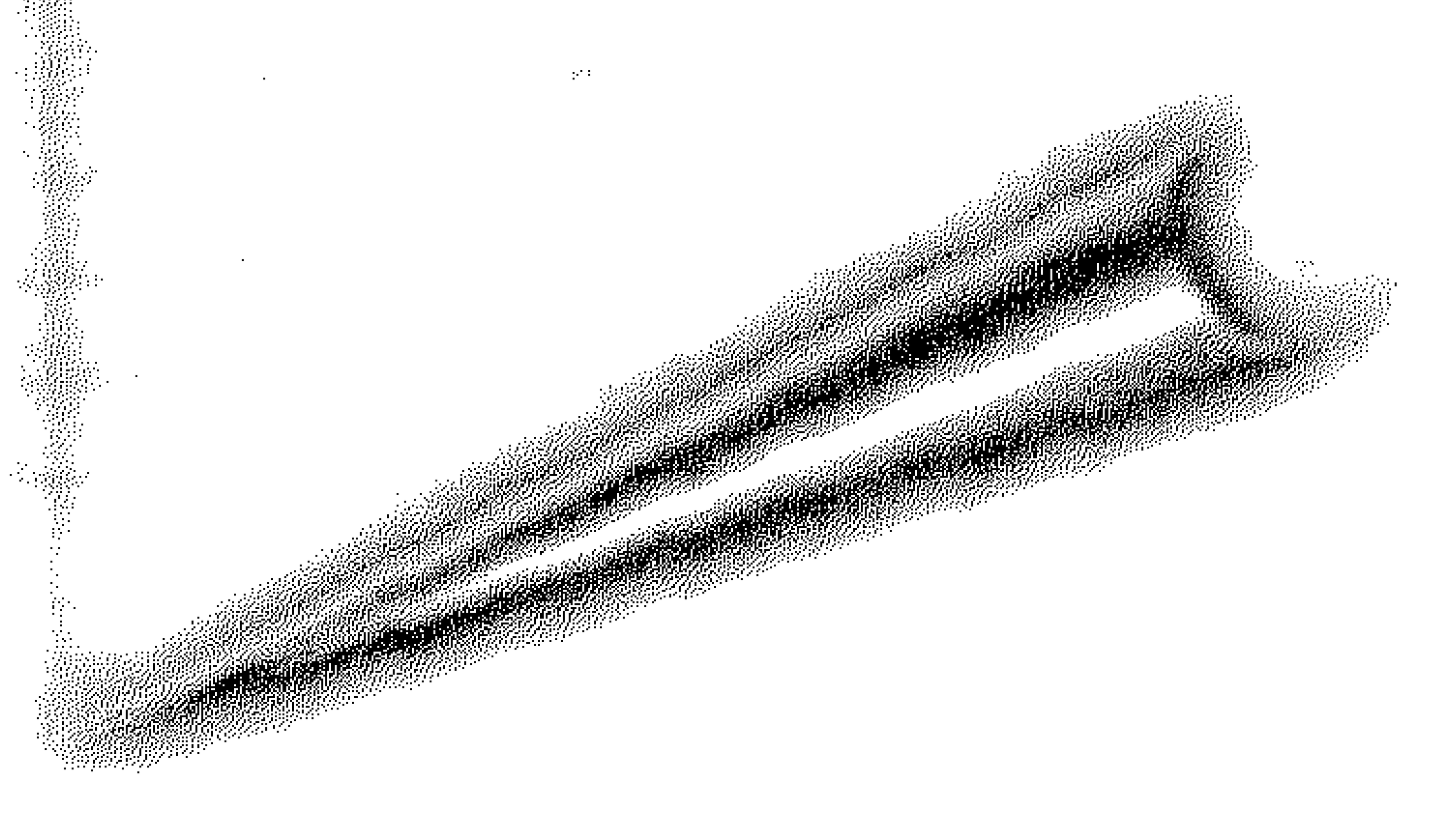
الوقفة الثانية: أقسام المصلحة من حيث اعتبار الشارع لها

أ- **المصالح المعتبرة شرعًا**، وهي ما اعتبرها الشارع، بأن شرع لها الأحكام الموصلة إليها، كحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فقد شرع الشارع الجهاد لحفظ الدين والقصاص لحفظ النفس، وحد الشرب لحفظ العقل، وحد الزنى والقذف لحفظ العرض، وحد السرقة لحفظ المال.

ب- **المصالح الملغاة شرعًا**: هي المصالح التي يراها العبد - بنظره القاصر - مصلحة ولكن الشرع ألغاها وأهدرها ولم يلتفت إليها، بل جاءت الأدلة الشرعية بمنعها والنهي عنها من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، ومن أمثلة هذا النوع: مصلحة الأنثى في مساواتها لأخيها في الميراث فقد ألغاها الشارع بدليل قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، ومثل مصلحة المرابي في زيادة ماله عن طريق الربا فقد ألغيت بقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ج - **المصالح المرسلة**: هي التي لم يرد في اعتبارها أو إبطالها دليل خاص من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس، لكنها لم تخل عن دليل عام كلي يدل عليها، وسميت مرسلة لأنها مطلقة عن اعتبار الشارع أو إلغائه، أي أرسلها فلم يعتبرها ولم يلغها.

وتسميتها بالمصالح المرسلة تسمية المالكية وتسمى عند الأصوليين: المناسب، المرسل، الملائم، ويسميها الغزالي الاستصلاح.



الوقفة الثالثة: أقسام المصالح باعتبار الأصل الذي تعود عليه بالحفظ:

تنقسم المصالح من حيث ما شرعت له الأحكام وجاءت لتحقيقه إلى ثلاثة أقسام:

أ- **ضروريات**: هي الأعمال والتصرفات التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا وصيانة مقاصد الشريعة بحيث إذا فقدت أو فقد بعضها لم تجد مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، فالضروريات ترجع إلى خمسة أنواع هي حفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل.

ب- **الحاجيات**: هي الأعمال والتصرفات التي لا تتوقف عليها صيانة تلك الأمور الخمسة، بل قد تتحقق بدونها ولكن مع الضيق والحرج، فهي أعمال وتصرفات شرعت للتوسعة على الناس ورفع الحرج عنهم، حتى لا يقعوا في الحرج والمشقة، فقد شرع فيما يتعلق بحفظ الدين: الرخص المخففة كالفطر في السفر، ولحفظ النفس: إباحة الصيد والذبائح والتمتع بالطيبات فيما زاد عن أصل الغذاء، ولحفظ المال: التوسع في شرعية المعاملات كالمضاربة، ولحفظ العرض، المهر والنفقات، ولحفظ العقل، تحريم القليل في كل ما يضعفه أو يؤثر في قوته لأن القليل وإن لم يسكر فيه من لذة المهر داع إلى الكثير المسكر.

جـ- **التحسينات**: وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات ومكارم الأخلاق وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحة، كأدب الأكل والشرب والتجمل بأجمل الثياب.

الوقفة الرابعة: حكم الاحتجاج بالمصالح المرسلة

تكاد كلمة الأصوليين تلتقي على أن القول بالمصالح المرسلة أمر مختلف فيه، وأن الراجح من الآراء أنه لا يصلح للاستدلال به، إذ لا دليل على اعتباره وأنه لم يذهب إلى القول به إلا الإمام مالك، بيد أن من يتتبع الكتب الفقهية في المذاهب الثلاثة الأخرى يتبين له أنهم جميعًا كانوا كثيرًا ما يستنبطون الأحكام الاجتهادية على وفق المصالح المرسلة، غاية الأمر أنهم لم ينصوا على اسم المصالح المرسلة في جملة ما نصوا عليه من المصادر التي اعتمدوها في الاجتهاد، بل اعتبروه معنى من معاني القياس أو الاستحسان، فالمصالح المرسلة أحد مصادر الفقه عند الأئمة الأربعة، مادامت ملائمة لتصرفات الشرع بأن عهدت في الشرع ملاحظة جنسها دون دليل معين وإن كان الإمام مالك يتوسع في الأخذ بها أكثر من غيره، حتى إن القول بها أصبح منسوبًا إليه، وخالف في اعتبار المصالح المرسلة حجة الظاهرية وبعض الشافعية وغيرهم ولكل دليله.

أدلة القائلين بالمصالح المرسلة:

١- أن الشريعة ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد، دلت على ذلك نصوص الشريعة وأحكامها المختلفة، فالأخذ بالمصلحة المرسلة يتفق وطبيعة الشريعة والأساس الذي قامت عليه والغرض الذي جاءت من أجله. قال الشاطبي في الموافقات: «والشريعة ما وضعت إلا لتحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل ودرء المفاسد عنهم».

٢- أن مصالح الناس ووسائلهم إلى هذه المصالح تتغير باختلاف الظروف والأحوال والأزمان ولا يمكن حصرها مقدمًا ولا لزوم لهذا الحصر ما دام الشارع قد دل على رعايته للمصلحة، فإن لم نعتبر منها إلا ما جاء الدليل الخاص باعتباره نكون قد ضيقنا واسعًا، وفوتنا على الخلق مصالح كثيرة، وهذا لا يتفق مع عموم الشريعة وبقائها، فيكون المصير إليه غير صحيح.

٣- أن العمل بالمصالح المرسلة مما لا يتم الواجب إلا به فيكون واجبًا.

٤- عمل الصحابة رضي الله عنهم بها في وقائع كثيرة مشتهرة ومن ذلك جمع أبي بكر الصحف المتفرقة التي كتب فيها القرآن في مصحف واحد، واستخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب، ومصادرة عمر نصف أموال الولاة لما ظهرت لهم أموال ظاهرة لم تكن لهم قبل الولاية هذا مع عدم البينة أنهم جمعوها من غير وجهها، وسن عثمان الأذان الأول للجمعة.

أدلة المنكرين لحجية المصالح المرسلة:

١- أن الشارع الحكيم ألغى بعض المصالح واعتبر بعضها، والمصالح المرسلة مترددة بين ما ألغاه الشارع وبين ما اعتبره، فتحتمل أن تكون من المصالح التي ألغاها الشارع وتحتمل أن تكون من المصالح التي اعتبرها، وليس إلحاقها بالمعتبر أولى من إلحاقها بالملغي وإلا كان ترجيحًا بغير مرجح وهو لا يجوز، وعلى ذلك لا تكون المصالح المرسلة حجة.

٢- أن العمل بالمصالح المرسلة طريق لذوي الأهواء ومن ليس أهلاً للاجتهاد، ينفذون منه إلى التصرف في الأحكام الشرعية على ما يوافق أهواءهم ومصالحهم الخاصة.

٣- العمل بالمصالح المرسلة يؤدي إلى اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان والبيئات والأشخاص، فالمصالح كما هو مشاهد تتغير بتغير الزمان وتتجدد بتجدد الأحوال، وهذا ينافي عموم الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

الرد على أدلة المنكرين:

١- أن العمل بالمصالح المرسلة ليس ترجيحًا بلا مرجح لأن المصالح التي ألغاها الشارع قليلة بالنسبة للمصالح التي اعتبرها، فإذا وجدت مصلحة لم يقم دليل على اعتبارها ولا على إلغائها بذاتها وفيها فائدة تعود بالنفع على الناس كان الظاهر إلحاقها بالأعم الأغلب دون القليل النادر.

٢- التأكد من أن توافر شروط العمل بالمصالح المرسلة لا يتوافر إلا للعلماء الذين بلغوا درجة الاجتهاد دون غيرهم ممن لم يبلغوا درجة الاجتهاد فضلاً عن غيرهم من العوام أو ذوي الأهواء.

٣- أن اختلاف الأحكام باختلاف الأزمان وتبدلها بتبدل المصالح هو أحد محاسن الشريعة وهو دليل خلودها واستمرار صلاحيتها لكل زمان ومكان، إذ ليس هذا الاختلاف ناشئًا عن الاختلاف في أصل الخطاب حتى يكون منافيًا لعموم الشريعة وإنما هو اختلاف ناشئ عن التطبيق لأصل عام دائم هو أن المصلحة التي لم يرد دليل على اعتبارها أو إلغائها يقضي فيها المجتهد على حسب ما يظهر له فيها من مصلحة.

الرأي الراجح:

من عرض أدلة الطرفين يترجح القول بحجية المصالح المرسلة وابتناء الأحكام عليها وعدها من أدلة الأحكام، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «فالحاصل أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلقون بالمصالح المرسلة التي لم يدل دليل على إلغائها ولم تعارضها مفسدة راجحة أو مساوية، وأن جميع المذاهب يتعلق أهلها بالمصالح المرسلة وإن زعموا التباعد منها، ومن تتبع وقائع الصحابة، وفروع المذاهب علم صحة ذلك». اهـ.

الوقفة الخامسة: ضوابط الأخذ بالمصالح المرسلة

يشترط لصحة العمل أو الحكم بمقتضى المصلحة المرسلة عدة شروط هي:

١- أن لا يخالف الحكم المثبت بالمصلحة نصًا شرعيًا: فلا يجوز الاستسلام للأعداء بدعوى أن فيه مصلحة حفظ النفس والمال.

٢- أن لا يكون في الحكم بمقتضى المصلحة المرسلة إثبات عبادة جديدة ولا إضافة ركن أو شرط لعبادة مشروعة ولا زيادة أو نقص في مقدر شرعي: كزيادة التعويض على الدية، لكنها قد تقع في وسائل العبادة المطلقة لا في ذات العبادة وأصلها ولا في وسائلها التوقيفية التي ورد الشرع بها، ومثال ذلك الأذان الثاني للجمعة.

٣- أن يكون حصول المصلحة بالحكم مقطوعًا به أو غالبًا على الظن، أما المصالح التي يكون تحصيلها بالحكم الظني فلا يعمل بها.

٤- أن يكون إصدار الحكم مرادًا به المصلحة العامة للأمة الإسلامية فلا يجوز إصدار الأحكام التي يبتغى بها مصلحة خاصة.

٥- ألا يستتبع الحكم بمقتضى تلك المصلحة مفسدة أعظم من تلك المصلحة أو مساوية لها، بل لابد أن تكون المصلحة أكبر.

الوقفة السادسة: الفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: «والضابط في هذا - والله أعلم - أن يقال إن الناس لا يحدثون شيئًا إلا لأنهم يرونه مصلحة، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه، فإنه لا يدعو إليه عقل ولا دين فما رآه المسلمون مصلحة نُظِرَ في السبب المحوج إليه، فإن كان السبب المحوج إليه أمرًا بعد النبي ﷺ لكن تركه النبي ﷺ من غير تفريط منه، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة إليه، وكذلك إن كان المقتضي لفعله قائمًا على عهد رسول الله ﷺ لكن تركه النبي ﷺ لمعارض قد زال بموته «مثل جمع الناس على قارئ واحد طوال شهر رمضان كما فعل عمر»، وأما ما لم يحدث سبب يحوج إليه، أو كان السبب المحوج إليه بعض ذنوب العباد، فهنا لا يجوز الإحداث، فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول الله ﷺ موجودًا لو كان مصلحة، ولم يفعل يعلم أنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق فقد يكون مصلحة». اهـ.

الوقفة السابعة: أمثلة حديثة للمصالح المرسلة

قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - حفظه الله-: «فهذه الأمثلة كلها ذكرها الشاطبي بتفصيل ونضيف إليها مِثْلَهَا وهي:

١- اتخاذ المحاريب في المساجد.

٢- بناء المنارات والمآذن العالية في المسجد لتدل على المسجد ويسمع صوت المؤذن من مسافات بعيدة.

٣- اتخاذ مكبرات الصوت العادية والآلية للخطباء والمدرسين والوعاظ والمرشدين لمصلحة إسماع الناس ما هم في حاجة إليه.

٤- تدوين العلوم ووضع أصولها وقواعدها كعلم الحديث وأصوله والفقه وأصوله والنحو والصرف واللغة وما إلى ذلك من العلوم والمعارف». اهـ.

من كل ما سبق يتضح لنا أن المصالح المرسلة تعد دليلاً من أدلة الأحكام تبنى عليها الأحكام، وذلك كله عن طريق العلماء المجتهدين الذين تتوافر فيهم شروط المجتهد، وليس عن طريق أهل الأهواء أو البدع أو من لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد، وذلك لما فيه مصلحة الأمة في جميع الحالات، والله الموفق.

مشابهة الرافضة لليهود

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن من علماء السلف من لاحظ مدى تأثر الرافضة باليهود في كثير من معتقداتهم وأحكامهم، وذلك لأن الرفض خرج من عباءة اليهودية وتغذى من كتبها المحرفة منذ أن تظاهر ابن السوداء (عبدالله بن سبأ) بالإسلام وهو يبطن اليهودية فأراد أن يفعل بالإسلام ما فعل بولس بالنصرانية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-: «وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة لا سيما السامرة من اليهود، فإنهم أشبه بهم من سائر الأصناف يشبهونهم في دعوى الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وتحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب وتحريم ذبائح غيرهم». [الفتاوى ٢٨/٤٧٩، ٤٨٠]

وفي أوجه الشبه الواضحة بين الفريقين، خلق النفاق عند اليهود، والتقية عند الرافضة.

١- النفاق عند اليهود:

يُعد النفاق أحد سمات اليهود وصفة من صفاتهم البارزة في تاريخهم القديم والحديث، وقد بين ذلك رب العالمين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وفي قوله جل شأنه: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة: ٦١]، فقلوب اليهود أشربت النفاق حتى صار خُلُقًا لهم في كل زمنٍ وحين.

وإليك بعضًا من نصوص كتبهم المحرفة التي تؤصل ذلك الخُلق وتؤكده من تعاليم التلمود:

١- «مصرح لليهودي أن يجامل الأجنبي ظاهرًا ليتقي شره على أن يضمر له الشر والأذى».

٢- «يحق لليهودي أن يغش الكافر، ومحظور عليه أن يحيي الكافر بالسلام ما لم يخش ضرره أو عداوته، والنفاق جائز في هذه الحالة ولا بأس من ادعاء المحبة للكافر إذا خاف اليهودي من أذاه».

والنفاق عند اليهود ضرورة دينية ومطلب شرعي، وفي أساليبه التي أصلها لهم الحاخامات:

١- طريقتهم في إلقاء السلام على غيرهم، ففي التلمود: «مصرح لليهودي إذا قابل أجنبيًا أن يوجه له السلام ويقول له: الله يساعدك على شرط أن يستهزئ به سرًا».

وهذا ما صنعوه مع رسول الله ﷺ، ففضح الله تعالى ما في قلوبهم، وكشف ما كان في صدروهم، يقول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [المجادلة: ٨].

٢- إظهار التودد لمخالفيهم بمشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم نفاقًا وخداعًا.

من ذلك قول حاخاماتهم: «إن أنت دخلت قرية ووجدت أهلها يحتفلون بعيد، عليك بالتظاهر بمشاركتهم الابتهاج العظيم لكي تكتم بغضاءك». بل يصل الأمر عند اليهود، أن يتظاهروا باعتناق دين أعدائهم لخداعهم وكيدهم، ففي التلمود: «إذا استطاع يهودي ما خداع الوثنيين بادعائه أنه من عباد النجوم مسموح له أن يفعل ذلك». هذا فضلاً عن الأيمان

إعداد
أسامة سليمان

الكاذبة ما دامت هذه الأيمان تخدم مصالح اليهود. وقد جاء في التلمود: «يجوز لليهودي أن يحلف يمينًا كاذبة، وخاصة في معاملته مع باقي الشعوب». وفي نص آخر: «على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينًا كاذبة ولا يُعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما».

ولقد ورث الرافضة هذا الخُلق الذميم من اليهود، وسموه بغير اسمه، سموه بـ «التقية»، التي تحتل مكانة بارزة ومنزلة عظيمة عندهم، فقد روى الكليني عن جعفر الصادق أنه قال: «التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له».

وعن أبي عبد الله أنه قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين».

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس منا من لم يلزم التقية، ويصوننا عن سفلة الرعية». وتارك التقية كتارك الصلاة عند الرافضة، ففي الأصول الأجلة: عن علي بن محمد قال لي داود: «إن تارك التقية كتارك الصلاة».

والتقية عندهم هي كتمان الحق وستر الاعتقاد ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا، وكذا هي إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفًا، ويقول الخميني: «التقية معناها أن يقول الإنسان قولاً مغايرًا للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة وذلك حفاظًا لدمه أو عرضه أو ماله». [الكشكول: ١/٢٠٢]

ومن كل التعريفات السابقة يتضح لنا أن:

١- التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.

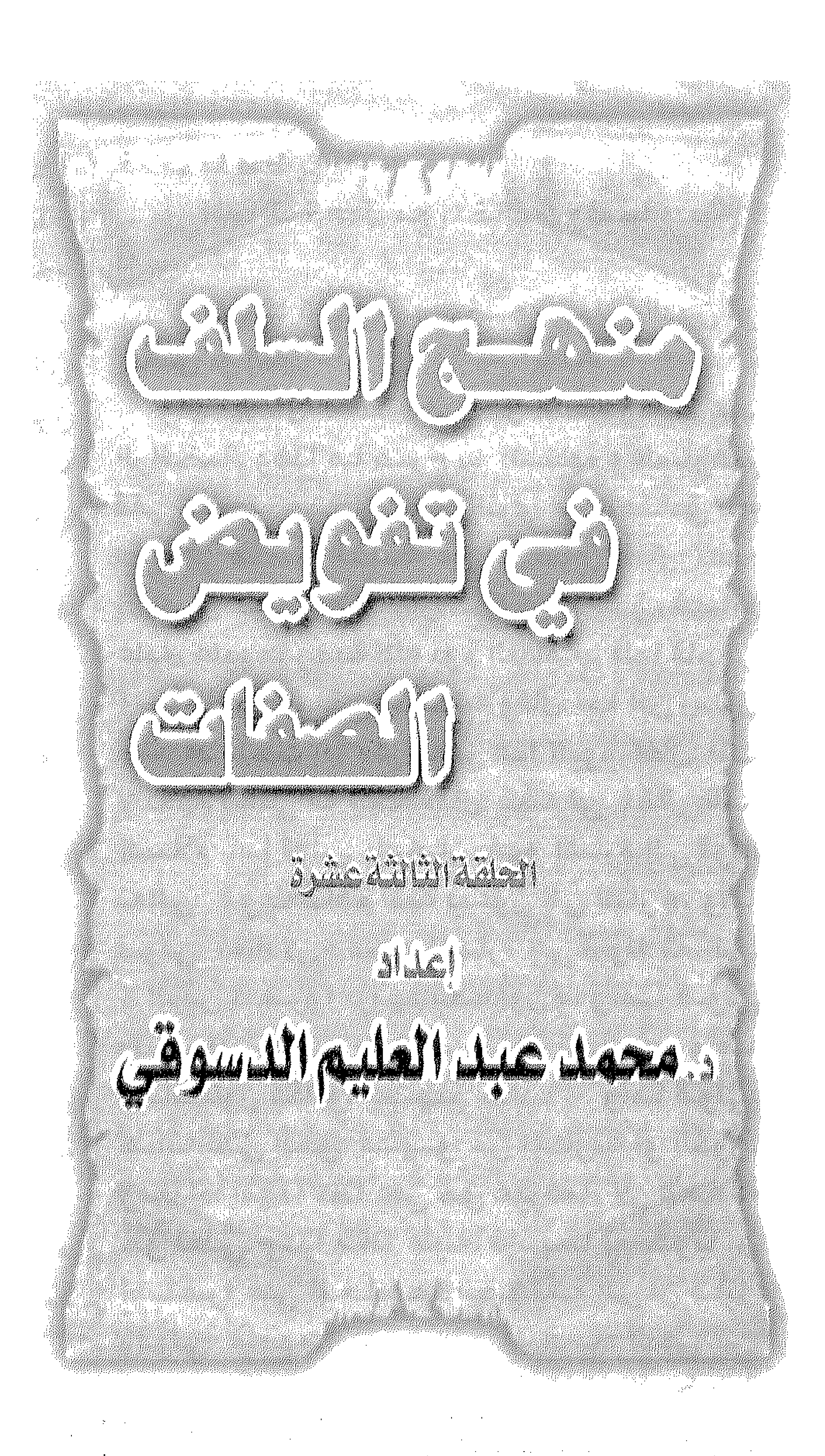
٢- أنها تستعمل مع المخالفين وفيما يدينون به.

٣- أنها تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال.

واستعمال التقية على أهل السنة واجب عند الرافضة، وهذا ما صرح به أئمتهم وعلماؤهم، ففي كتاب نعمة الله الجزائري عن الصادق أنه سُئل في مجلس الخليفة عن الشيخين، فقال: «هما إمامان عادلان قاسطان كانا على الحق، فماتا عليه، عليهما رحمة الله يوم القيامة»، فلما قام من المجلس تبعه بعض أصحابه وقال: «يا ابن رسول الله، قد مدحت أبا بكر وعمر هذا اليوم. فقال: أنت لا تفهم معنى ما قلت: فقال: بَيِّنه لي. فقال عليه السلام: أما قولي: «إمامان» فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾، وأما قولي: «عادلان»: فهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وأما قولي «قاسطان» فهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وأما قولي: كانا على الحق، فهو: من المكاونة أو الكون، ومعناه: أنهما كانا على حق غيرهما، لأن الخلافة حق لعلي، وكذا ماتا عليه، فإنهما لم يتوبا بل استمرا على أفعالهما الخبيثة إلى أن ماتا. وقولي: عليهما رحمة الله، المراد به: النبي ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. فهو القاضي والحاكم والشاهد على ما فعلوه يوم القيامة، فقال: فرجت عني فرج الله عنك». [الأنوار النعمانية ١/٩٩]

وهكذا أخي ترى أن التقية من عقائد الرافضة التي شابهت بها اليهود، بل هم في معظم معتقداتهم كالوصية والرجعة وتحريفهم لكتبهم، فهم صنوان في كثير من معتقداتهم وأحكامهم.

والله من وراء القصد.



الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فسوف نتحدث بإذن الله تعالى حول:

ثاني الأسباب المفضية إلى عدم فهم كلام السلف على حقيقته في تفويض الصفات

ويكمن ثاني الأمرين المفضيين لدى بعض أهل العلم إلى عدم فهم كلام السلف على حقيقته، فيما جاء في عبارات السلف عن الصفات مما يفيد إمرارها بلا كيف:

وما قيل في عبارات السلف الدالة على ترك المعنى وعدم التعرض لتفسير آيات الصفات وأحاديثها، يقال مثله في عبارات (الإمرار) التي تواردت بكثرة على ألسنتهم، ذلك أن الأمر الذي دعا كثيراً من القائلين بالتفويض منذ أن ظهر علم الكلام وحتى زماننا هو- على ما يبدو- ما جاء في نحو قول الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد سالف الذكر لمن سألوا عن أحاديث الصفات: (أمروها كما جاءت)، وفي رواية لهم أخرى بلفظ: (أمضوها)[1].. وقول محمد بن الحسن في الأحاديث: (قد روتها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها)[2].. وقول سفيان بن عيينة - رحمه الله - في حديث: (إن الله يحمل السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع)، وحديث (إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق)، وحديث (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن): «هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف»[3]، وقول الزهري من قبل: «من الله العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، أمروا أحاديث رسول الله كما جاءت.. وقول ابن الباقلاني فيما جاء عن استوائه تعالى: «بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر»[4].. وقول البغوي فيما نقله عن أهل العلم: «نطلقها على ما جاءت.. وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة»[5].

والجواب: أن مقصود الإمرار الذي كثر وروده في عبارات سلفنا الصالح ليس لمعنى الصفة وإنما هو لحقيقة الصفة وكنهها وكيفية قيامها بذاته تعالى، ليفيد ذلك إثبات صفات المولى سبحانه على ما جاءت به الآيات وعلى النحو اللائق به دون تعطيل أو تكييف أو تحريف أو تشبيه.. يبدو ذلك في قول الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.. الشورى/ ١١)، فإن الله جل وعلا بعد أن نفى أن يماثله شيء، أثبت لنفسه السمع والبصر رغم اتصاف المخلوقين بهما، ولا يعني ذلك إلا أن سمعه وبصره سبحانه وتعالى لا يماثل ولا يشابه سمع المخلوقات وبصرها.. كما يبدو فيما دبجه منصور بن عمار في رده على بشر المريسي- قبحه الله- حين سأله عن قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. طه/٥)، فكتب إليه: استواؤه

غير محدود، والجواب فيه تكلف، ومسألتك عن ذلك بدعة، والإيمان بجملة ذلك واجب، قال الله تعالى: (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله... آل عمران/٧)[٦].

فجوابه عن الاستواء بقوله: (غير محدود)، بيان لنفي الكيف عن استوائه سبحانه، ومن ثم فهو نفي للتأويل الناشئ عن تصور هذا الكيف من نحو تفسيره بالاستيلاء أو الاستقرار إلى غير ذلك مما ابتدعه الجهمية سعياً لإنكار صفات الخالق سبحانه، وفي (علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين) ما نصه: «وفي الرد على هذه الشبهة نقول: إن مثل هذه الأقوال الصادرة عن بعض علماء السلف لا تتنافى مع ما قرروه من الإثبات، لأن مرادهم بمثل هذه العبارات إنما هو ترك الكلام في معنى كيفيتها، لأن معرفة الكيفية لا سبيل إليه فلا بد من اليأس من إدراك كنه الصفة، وهذا أصل معروف لدى علماء السلف، ويؤكد هذا.. أن كل من نقل عنه مثل هذه العبارات قد نقل عنه القول بالإثبات، ومثال ذلك ما رواه الدارقطني في رسالته (الصفات) بسنده من قول سفيان بن عيينة: «كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل»[٧].

وعليه فـ «مراد السلف بقولهم (بلا كيف)، هو نفي للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير، نفي الحقيقة وإثبات التكييف بالتأويل وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله لنفسه ويقول: كيفيته كذا وكذا حتى يكون قول السلف (بلا كيف) ردًا عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل- الذي يتضمن التحريف والتعطيل- تحريف اللفظ وتعطيل معناه»[٨].

ولأجل أن مراد أئمة السلف بقولهم: (أمروها)، الرد على النفاة والمعطلة، وبقولهم: (بلا كيف) الرد على المشبهة والمؤولة، كان قولهم: (كَيْفَ يَشَاء) التي وردت في عبارة أحمد والشافعي وغيرهما من نحو ما رواه أبو سليمان الخطابي عن عبد الله بن المبارك من أن رجلاً قال له كيف ينزل؟ قال: « ينزل كيف يشاء»[٩]، هو من حسن الفهم والاعتقاد لإفادتها ربط الأمر بالكيفية التي يشاؤها الله سبحانه مما هو خارج عن معقول البشر، ولتضمنها الرد المفحم على الذين ما قدروا الله حق قدره وضربوا له الأمثال تشبيهاً وتعطيلاً وقياساً على محدود فهمهم وإدراك عقولهم، بينما صفات الله تعالى لا تحدها قوانين البشر ولا نواميس الكون، بل له سبحانه العلو المطلق والكيف الذي ليس كمثله شيء، ويدخل في التعرض لمعنى الكيف المنهي عنه قول متأخري المتكلمين ومن شايعهم وسار على نهجهم: «إن الله ليس في السماء ولا على العرش ولا على السماوات ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارج العالم ولا هو بائن عن خلقه ولا هو متصل بهم».

يقول الإمام أبو بكر محمد بن الحسن القيرواني بعد أن ساق قول ابن جرير وأبي محمد بن أبي زيد والقاضي عبد الوهاب وجماعة من شيوخ الفقه والحديث: «وأطلقوا على بعض الأماكن أنه فوق عرشه.. وهذا هو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ولا كون فيه ولا مماسة»، ويقول الحافظ الذهبي في تعليقه على ما ذكره الإمام أبو بكر القيرواني في عدم التعرض لمثل هذا: «سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل، فلو ورد شيء بذلك نطقنا به وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف، إذ التعرض لذلك نوع من الكيف وهو مجهول، وكذلك نعوذ بالله أن نثبت استواءه بمماسة أو تمكن، بلا توقيف ولا أثر، بل نعلم من حيث الجملة أنه فوق العرش كما ورد النص»[١٠]، ورحم الله أبا حنيفة حين صب لعنته على من فتح هذا الباب وابتدع هذه الطريقة، فقد قال لما سُئل عن الكلام في الأعراض والأجسام: «لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا»[١١].

وهذا كله يعني أن لآيات الصفات وأحاديثها جانباً لا يسوغ الخوض فيه، وهو المتعلق بكنه الصفة وكيفية قيامها به سبحانه، وجانباً آخر يجب الوقوف على معرفته لكونه غير منفي المعنى، وما على المؤمن إلا أن «ينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه- على حد قول العلامة أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين في بيان أثر العقيدة في قلب المؤمن بها- مبصرًا من وجه، أعمى من وجه، مبصرًا من جهة الإثبات والوجود والتحقيق، أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى، ووجد نوره وبركته، عاجلاً وآجلاً»[١٢].

وكلامه موافق لما عليه سائر الأئمة الذين نقلنا إجماعهم على الإثبات لمعاني الصفات وذلك بمعرفة معاني ما جاء منها في الكتاب والسنة، وإلا فـ«لو كانت معاني هذه الآيات والأحاديث منفية أو مسكوتاً عنها لم يكن ربانيو الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلامًا فيها؛ فلقد نقل عنهم أنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط أنه امتنع عن تفسير آية، وكذلك الأئمة كانوا إذا سئلوا عن شيء من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية، كقول مالك بن أنس عن معنى قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. طه/ ٥) كيف استوى؟ فقال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به

واجب والسؤال عنه بدعة)، وكذلك ربيعة- أستاذه وشيخه- قبله، وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس من أهل العلم من ينكره.. أو ينفي العلم بنفس الاستواء لا بكيفيته، لأنه قد ورد عنهم وعن الصحابة أن معناه العلو والارتفاع، وقال بعضهم عبارات أخرى كلها ثابتة عن السلف»[13].

ويؤكد ابن تيمية هذه الحقيقة فيقرر أن قول ربيعة ومالك (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب) موافق لقول الباقين: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولا ظاهر معناها لأنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات، وأيضاً فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول (بلا كيف)، فمن قال: (إن الله ليس على العرش) لا يحتاج أن يقول (بلا كيف)[14] وهذا بالطبع شأن جميع ما وصف الله به نفسه. .وقد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخر كتاب (الرد على الجهمية)، وقال الترمذي في سننه: «قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال: (كيف)»[15]، وهؤلاء أبو داود في سننه وابن ماجة، وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل الحديث، ساقوا أحاديث الصفات وأمروها كما جاءت ولم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل[16].

فلو كان مراد هؤلاء جميعاً تفويض المعنى في الصفات أو كانوا لا يعتقدون لها معنى، أو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، إذ قولهم هذا يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها إنما جاءت ألفاظاً دالة على معانٍ، ولما قالوا: (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول) لأن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، ولقالوا: (أمروا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها) أو (أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد) أو (أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقته)، وبذا تكون قد أُمِرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ (بلا كيف)، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول[17].

«يؤكد ذلك.. أن كل من نُقل عنه مثل هذه العبارات نقل عنه أيضاً القول بالإثبات المفضي إلى معرفة الصفات والوقوف على معناها، ومثال ذلك ما رواه الدارقطني في رسالته (الصفات) بسنده من قول سفيان بن عيينة: (كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل)»[18]، وما ذكره صاحب (الحجة في بيان المحجة) الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني في حق آيات الصفات وأحاديثها من «أن مذهب السلف رحمة الله عليهم أجمعين إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها»، وما أفصح عنه من أنه: «قد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله تعالى، وذهب قوم من المثبتين إلى البحث عن التكييف، والطريقة المحمودة هي الطريقة المتوسطة بين الأمرين، وهذا لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الله تعالى إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات، وإنما أثبتناها لأن التوقيف ورد بها وعلى هذا مضى السلف، قال مكحول والزهري: أمروها على ما جاءت، فإن قيل كيف يصح الإيمان بما لا نحيط علماً بحقيقته؟ قيل: إن إيماننا صحيح بحق ما كلفناه، وعلمنا محيط بالأمر الذي ألزمناه وإن لم نعرف ما تحت حقيقة كيفيته، وقد أمرنا بأن نؤمن بملائكة الله ورسله واليوم الآخر وبالجنة ونعيمها وبالنار وعذابها، ومعلوم أنا لا نحيط علماً بكل شيء منها على التفصيل وإنما كلفنا الإيمان به جملة»[19].. وكذلك قال علماء السلف في جميع أخبار الصفات، وعليه فيكون» المراد من قول سفيان.. إنما هو نفي الكيفية، كما نفتها أم سلمة وتابعها مالك وغيره من السلف عندما قالوا في الاستواء إنه معلوم والكيف مجهول»[20].

والحمد لله رب العالمين.

---

١ ـ العلو ص ١٠٤ والمعارج١/ ١٣٤ . ٢ ـ أخرجه اللالكائي في السنة٣/ ٤٣٣مجلد٢والذهبي في العلو ص١١٣ .
٣ ـ الصفات للدارقطني ص٧٢ والحجة١/ ٤٣٨وذم التأويل لابن قدامة ص٩ والعلو ص ١١٦ .
٤ ـ الحجة١/ ١٨٠والإبانة للبغوي وينظر العلو ص١٧٤ . ٥ ـ شرح السنة للبغوي١٠/ ٦٤ . ٦ ـ ينظر المعارج١/ ١٣٧ .
٧ ـ الصفات للدارقطني ص٧٠ وينظر اللالكائي٣/ ٤٣١مجلد٢وعلاقة الإثبات ص٦٩ .
٨ ـ اجتماع الجيوش لابن القيم ص٧٧ . ٩ ـ الأسماء والصفات للبيهقي ص٦٠٩، ٦١١ . ١٠ ـ العلو ص ١٩٠ .
١١ ـ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٥٣ . ١٢ ـ مختصر العلو ص٧٨ . ١٣ ـ الإكليل لابن تيمية ص ٤٦وما بعدها بتصرف.
١٤ـ ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/ ٤٢والحموية ص٢٥ والحجة للأصبهاني١/ ٩٢ .
١٥ـ سنن الترمذي ٣/ ٥٠وموافقة صريح المعقول١/ ٢٢ وأقاويل الثقات ص ٦١ واجتماع الجيوش ص٩٦ والإكليل ص٤٦ .
١٦ ـ معارج القبول ١/ ١٤٥ . ١٧ ـ ينظر الفتوى الحموية ص٢٥ ومجموع الفتاوي٥/ ٤١، ٤٢وفتح رب البرية ص٦٣ .
١٨ ـ علاقة الإثبات ص ٦٩والصفات للدار قطني ص٧٠ . ١٩ ـ الحجة١/ ١٧٤، ١٧٥وينظر١/ ٢٨٨ .
٢٠ ـ علاقة الإثبات لرضا بن نعسان ص٧٠ .

الطعن في القرآن الكريم

إعداد/ د. عبد المحسن بن زين المطيري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد:

فقد عرف أعداء الإسلام أن مصدر عز هذا الدين وأهله، وسر تجدده في نفوس المسلمين هو هذا القرآن العظيم، الذي لا يخلق من كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يمله القارئ والسامع ولا يزداد به المؤمن إلا يقينًا بدينه وتعلقًا به، هذه المعجزة الخالدة، والآية الباقية ما بقي الليل والنهار، هذا الكتاب الذي وعد الله تعالى بحفظه بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ولما كانت هذه منزلة القرآن، اجتهد أعداء الدين بالطعن في هذا القرآن؛ حتى يسلخوا المسلمين من التعلق به، فيصبحوا صيدًا سهلاً وغنيمة باردة. وحرب أعداء الدين هذه ليست فقط على القرآن، بل على كل أساساته وقواعده؛ فهناك الحرب على الرسول ﷺ وسنته، والطعن في عدالة الصحابة، والحرب على المرأة المسلمة وحجابها وعفافها، والحرب على بعض الشعائر كالجهاد، وغيرها من الجبهات، ولكن الحرب على القرآن هي أخطرها وأشدها وأشرسها؛ لأن القرآن هو الذي يدل على الأصول السابقة ويحث عليها، فهو أصلها وهي فروعه، وبذهاب الأصل تذهب الفروع؛ ومن هنا عزمت في هذه الرسالة على جمع هذه المطاعن والإشكالات التي تثار الآن، والتي هي- في غالبها - عبارة عن ترديد لما سبق، فلو عرفها الناس وتحصنوا منها لما حصل هذا الاضطراب من هذه الشبه.

ومن أهداف البحث أيضًا الرد على المستشرقين الذين يطعنون في هذا الدين، ويشككون في عصمة كتابه وقدسيته، وكذلك الرد على المعاصرين الذين تأثروا بهذه الشبهات وبدأوا يرددونها.

ومن هنا كان هذا البحث.

الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين:

وليس من منهجي أن أجمع كل ما أثير، بل أجمع ما كان فيه شبه وقد يقع فيه اللبس عند بعض الناس، وأما بعض الطعون التي يوردها الطاعنون بسبب جهلهم باللغة، أو سوء فهمهم، أو تحريف المعنى، أو الكذب، أو الدعوى المجردة من الدليل، أو بسبب الحقد الدفين، فهذا يكفي ذكره في إبطاله، ويكفيك من شر سماعه، مثل إنكارهم بلاغة القرآن وهم أبعد الناس عن تذوق بلاغة القرآن، أو تفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر: ٧٥]، فقد قال بعض المستشرقين في تفسير معنى «حافين»: أي بدون أحذية. (وفسر بعض المستشرقين قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء: ١٣] بقوله: يأتي الكافر وفي رقبته حمامة، ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى، فكتب في مادة (أخذ) أنها تأتي بمعنى نام لقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ومثل ادعاء بعضهم أنه وجد مخطوطة بخط النبي ﷺ، وبالتالي يثبت أنه لم يكن أميًا. وقول بعضهم: إن معنى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أن أمي بمعنى وثني، وادعاء بعضهم أن الوحي عبارة عن صرع كان يصيب النبي ﷺ. أو النزول إلى الدرك الأسفل من الدناءة بإطلاق لفظ (الخراء) على القرآن، كما في كتاب حيدر حيدر «وليمة لأعشاب البحر»، وغير ذلك من السفاهات.

والطعون على القرآن تنقسم إلى قسمين ؛ طعون حول القرآن، وطعون في القرآن؛ الطعون حول القرآن في مثل الطعن في جمع القرآن، وتواتر القرآن، وتقسيم القرآن إلى مكي ومدني، ونزول القرآن على سبعة أحرف، ومعنى المتشابه في القرآن، والنسخ في القرآن، وترجمة القرآن وإعجاز القرآن، وقراءات القرآن... إلخ، تلك الشبه التي تحوم حول القرآن ولا تطعن في آياته طعنًا مباشرًا.

وفي مجلة لواء الإسلام بحث لعبد الباري إبراهيم أبو عبلة في الجواب على طعون المستشرقين في لغة القرآن ونحوه.

ومن أشد الكتب التي طعنت في هذا الباب كتابان:

١- **القرآن:** نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، لبلايشير.

٢- **مقدمة كتاب المصاحف لأبي داود،** لآرثر جعفري.

رد عليهما الدكتور إسماعيل سالم عبد العال في كتابه «المستشرقون والقرآن» في جزأين.

وأما النوع الثاني وهو الطعن في القرآن نفسه من حيث دلالاته ومعانيه وأخباره وأحكامه وغير ذلك، وهو الذي أبحث فيه، والسبب في ذلك أن هذا النوع هو الذي تولى القرآن الرد فيه على الطاعنين؛ ولأن الرد على هذه الشبه فيه الرد على تلك الشبه بطريق اللزوم، فإنه إذا ثبت أن القرآن ليس من عند النبي ﷺ، بل من الله تعالى، وهو غير قابل للنقد، وأنه ليس فيه تحريف ولا زيادة، وأنه صادق الأخبار وواجب الاتباع، إذا ثبت هذا فإن الله تعالى قال فيه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، إذن فلا مجال للطعن في تواتره وجمعه وقراءاته وما نسخ منه ؛ لأنه محفوظ بحفظ الله له.

وقد حرصتُ على الردود الإجمالية لكل طعن في فصل الردود التفصيلية على من طعن في القرآن ؛ لأنها الأهم، فهي صالحة لما قد أُثير ولما يمكن أن يُثار في المستقبل، وأما الردود التفصيلية على كل طعن فإنها لا تنتهي، وقد يُفتح لإنسان ما لا يُفتح على غيره في الرد، وبعضها طعن ساذج لا يستحق الرد.

أولاً: التعريف:

الطعن: لكلمة طعن معنيان ؛ حسي، ومعنوي ؛ فالحسي بمعنى الضرب بآلة حادة كالخنجر، وهو المتعدي للمفعول (طعنه)، والمضارع منه مضموم العين (يطعُن) وبعضهم يفتحه، والمعنوي بمعنى القدح في شيء، سواء كان نسبًا، أو كتابًا، أو شخصًا، أو غير ذلك، وهو اللازم (طعن فيه)، والمضارع منه مفتوح العين (يطعَن).

ثانيًا: تعريف القرآن:

هو كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. والقرآن من المشهورات التي لا تحتاج إلى تعريف.

ثالثًا: تعريف الطعن في القرآن:

الطعن في القرآن: هو أحد مباحث علوم القرآن، التي تبحث في الرد على من طعن في كتاب الله، أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والرد عليها بالأدلة الشرعية والعقلية والحسية.

هناك عدة مصطلحات في تسمية هذا العلم، ترادف مصطلح الطعن في القرآن وهي:

١- المتشابه أو المشتبه.

٢- موهم الاختلاف أو مختلف القرآن.

٣- موهم الاضطراب.

٤- أسئلة القرآن.

٥- غامض القرآن.

٦- مشكل القرآن.

أقدم الطعون:

حديث المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرءون: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». [مسلم: ٢١٣]

وهذا الطعن الذي ذكر في الحديث، مع أن النبي ﷺ أجاب عليه، إلا أنه لا يزال يردد إلى يومنا هذا، كما سترى فيما سيأتي إن شاء الله.

معرفة أعداء الإسلام عظيم أهمية القرآن:

عرف أعداء الله أهمية كتاب الله تعالى في نفوس المسلمين، ومدى تعلقهم به، وعلموا أنه هو باعث نهضتهم، ومحيي همتهم، وموحد كلمتهم، وسبب نجاتهم وقوتهم.

يقول الحاخام الأكبر لإسرائيل - سابقًا - مردخاي الياهو، مخاطبًا مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي: «هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتابًا يتحدث عنا بكل هذه السلبية؟! على حكام العرب أن يختاروا ؛ إما القرآن أو السلام معنا». [مجلة البيان: عدد ١٥٩ بتاريخ ١٤٢١هـ]

وفي بدايات هذا القرن كان الجنود الإيطاليون يتغنون بأنشودتهم: «أنا ذاهب إلى ليبيا فرحًا مسرورًا، لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن، وإذا مت يا أماه فلا تبكيني، وإذا سألك أحد عن عدم حدادك فقولي: لقد مات وهو يحارب الإسلام».

[صلاح الأمة لسيد عفاني ٥٧٥/٦]

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية».

[قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله، لجلال العالم، ص٣١]

ويقول وليم جيفورد: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه».

[المرجع السابق ص٤٩]

ويقول اللورد كرومر في مصر: «جئت لأمحو ثلاثًا: القرآن، والكعبة، والأزهر». [الخنجر المسموم ص٢٩]

يقول جون تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح - ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس - يعني المسلمين - أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا». [مجلة الفقه الإسلامي ص٣٢٩]

ويقول غلادستون - وزير المستعمرات البريطاني سنة ١٨٩٥، ثم رئيس الوزراء-: «لن تحقق بريطانيا شيئًا من غاياتها في العرب، إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب، أخرجوا سر هذا الكتاب - يعني القرآن - مما بينهم، تتحطم أمامكم جميع السدود».

[القراءة المعاصرة للقرآن في الميزان ص١٧]

وقال أيضًا: «مادام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا تكون هي نفسها في أمان».

[منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص٤٤٢]

إذن هم يعرفون أن القرآن مصدر قوة المسلمين، لذلك أعلنوا الحرب على كتاب الله تعالى، وهذه الحرب قديمة قدم نزول القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ؛ يعني أن الغلبة لهم على المسلمين إنما تكون باللغو والطعن في القرآن.

أنواع الطعون:

الطاعنون في القرآن كثيرون، ومطاعنهم وشبهاتهم كثيرة، وحصرها قد يعيي الباحث، ويكل المجد، ولكن حقيقة هذه الطعون أنها تدور في أفلاك محددة، وتنبع من مشكاة واحدة، ويمكننا أن نرجعها إلى أصول وقواعد تلملم شعث هذه الطعون، والرد على هذه الأصول يتكفل بالرد على جميع ما تحتها من طعونات لا تعد ولا تحصر، ويمكننا أن نرد المطاعن إلى أربعة أصول يتفرع من بعضها فروع ؛ وهي:

١- نفي نسبة القرآن لله تعالى: ويشمل عدة طعون:

-نسبته إلى النبي ﷺ وأنه من تأليفه.

-نسبته إلى الاقتباس من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل.

-دعوى عدم قدسيته وإمكانية نقده ومخالفته؛ يعني قد يقر بأنه ليس من النبي ﷺ وأنه من الله تعالى، ولكن يقول هو ليس مقدسًا، بل يمكن نقده، وهذا الكلام حقيقته نفي القرآن عن الله تعالى؛ لأن ما كان من الله سبحانه فهو مقدس ولا يمكن نقده، وما كان من غيره فينطبق عليه ما يجري على كلام البشر من خطأ أو عجز أو جهل، إلى غير ذلك من نقائص البشر.

٢- زعم عدم حفظه:

يعني قد يقر بأن القرآن من الله جل جلاله، ولكن يزعم عدم حفظه فيدعي:

-أنه ليس هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غير وبدل، وأما الأصل فلا وجود له.

-أنه زيد فيه ونقص، يعني قد يقر بأن القرآن الموجود هو الكتاب الذي نزل من الله، ولكن يقول إنه زيد فيه أو نُقص منه.

٣- اتهام القرآن بالتناقض:

-تناقض الآيات بعضها مع بعض.

٤- اتهام القرآن بمعارضة الحقائق:

-معارضة الحقائق الشرعية.

-معارضة الحقائق التاريخية.

-معارضة الحقائق الكونية، أو حقائق العلم التجريبي الحديث.

والملاحظ في هذه الطعون هو التدرج فيها، فكلما انتفت شبهة انتقلوا إلى التي تليها.

ولو علم المسلمون هذه الشبه الأربع والرد عليها لما حصل ما نراه الآن من تأثر كثير من المسلمين بها، بل والاعتقاد فيها أو التسليم بها.

والمطاعن من حيث صراحتها تنقسم إلى نوعين:

١- طعون واضحة وصريحة، وهذا هو الغالب في طعون المستشرقين.

٢- طعون غامضة وملتوية وغير مباشرة، وهذا الغالب في طعون العلمانيين.

-الرد على من طعن في القرآن.

أولاً: الردود الإجمالية التي تصلح لكل شبهة:

١- إعجاز القرآن الغيبي والعلمي والبياني والتشريعي.

٢- التحدي أن يأتي أحد بمثله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

٣- شهادة المنصفين من الخصوم بصدقه.

٤- الوحدة الموضوعية لكل سورة.

٥- عدم التناقض.

٦- عدم معارضة كفار مكة له، مع أنهم أكثر الناس عداوة وفصاحة.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

إعلان توبة وتبرئة ذمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد كتبت عن التصوف مدافعًا عنه، وذلك من خلال الرد على كتاب الأستاذ/ محمود المراكبي «عقائد الصوفية»، والله وحده يعلم أن الباعث لي على الكتابة لم يكن طلبًا لدنيا أو تحقيقًا لغرض أو عرض، وقد تم نشر هذه المقالات في مجلة «الإسلام وطن» بعنوان «خطايا المراكبي»، ولما تبين لي أن بعض الطرق الصوفية تتعاطف مع الشيعة، وكنت أنا من المتعاطفين معهم، ولكن بعد أن قاموا بإعدام الرئيس الراحل «صدام حسين» بطريق تقشعر لها الأبدان، وأظهروا الشماتة والفرح بإعدامه، وخالفوا بذلك تعاليم الإسلام واحترام الميت، وعدم احترام مشاعر المسلمين، وقيامهم بحملة إبادة لأهل السنة في العراق، وكذلك ما تبثه قنواتهم الفضائية مثل: الفرات، والأنوار، والكوثر، من سب وطعن في صحابة النبي ﷺ بطريق مباشر وفي حق أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بطريق غير مباشر.

لذلك نعلن مقاطعة كل طريقة صوفية تتعاطف مع الشيعة الذين أجرموا وشاركوا في تدمير العراق وقتل الأبرياء، كما أقدم عذري واعتذاري إلى كل مسلم قرأ ما كتبت وكنت سببًا في إزعاجه وأستغفر الله من كل قول أو عمل أو حال وقعت فيه بدون قصد وكان مخالفًا للكتاب الكريم والسنة المطهرة، ونسأل الله لنا ولكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

طاهر رمضان عبد الرازق

إمام وخطيب بأوقاف السويس

تعليق رئيس التحرير:

الأخ المكرم: طاهر رمضان، جزاكم الله خير الجزاء على ما قدمتم، والله سبحانه يعفو عنا وعنكم، وهذا الاعتذار منكم يستحق أن يكتب في مكارم الأخلاق.

فاللهم ردنا إلى الحق ردًا جميلاً.

إشـــهـــار

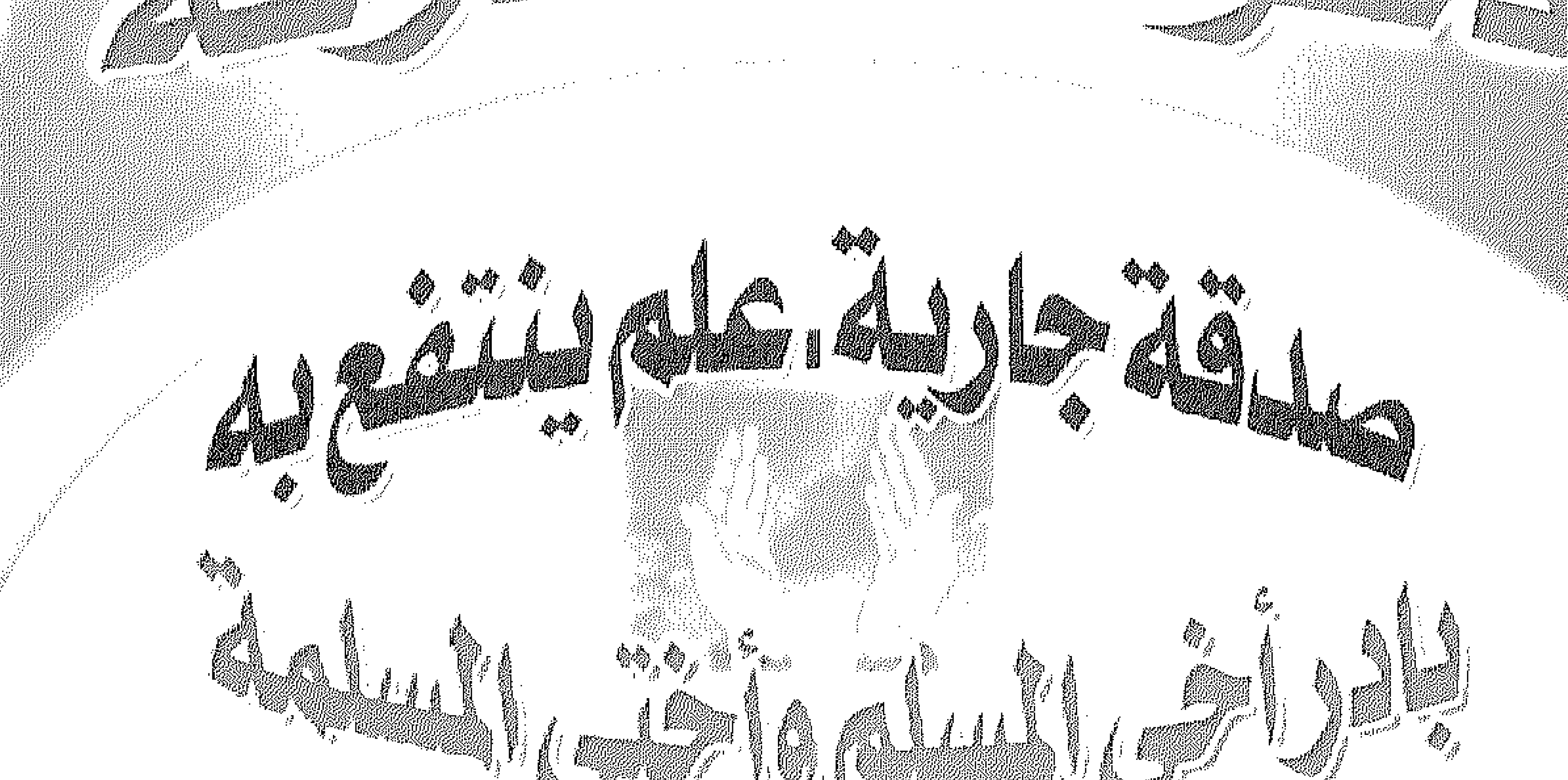
رقم ١٤٦٠ بتاريخ ١٧ / ١ / ٢٠٠٧م

بعد الاطلاع على القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة، وعلى القرار الجمهوري رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٢ للائحة التنفيذية للقانون المذكور تم إشهار:

١- فرع أنصار السنة المحمدية (برك الخيام) تاريخ ٢٠٠٧/١/١٠م

٢- فرع أنصار السنة المحمدية بكفر دميرة القديم م. طلخا برقم (١٤٦٠) بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٧م.

دعوة للمشاركة



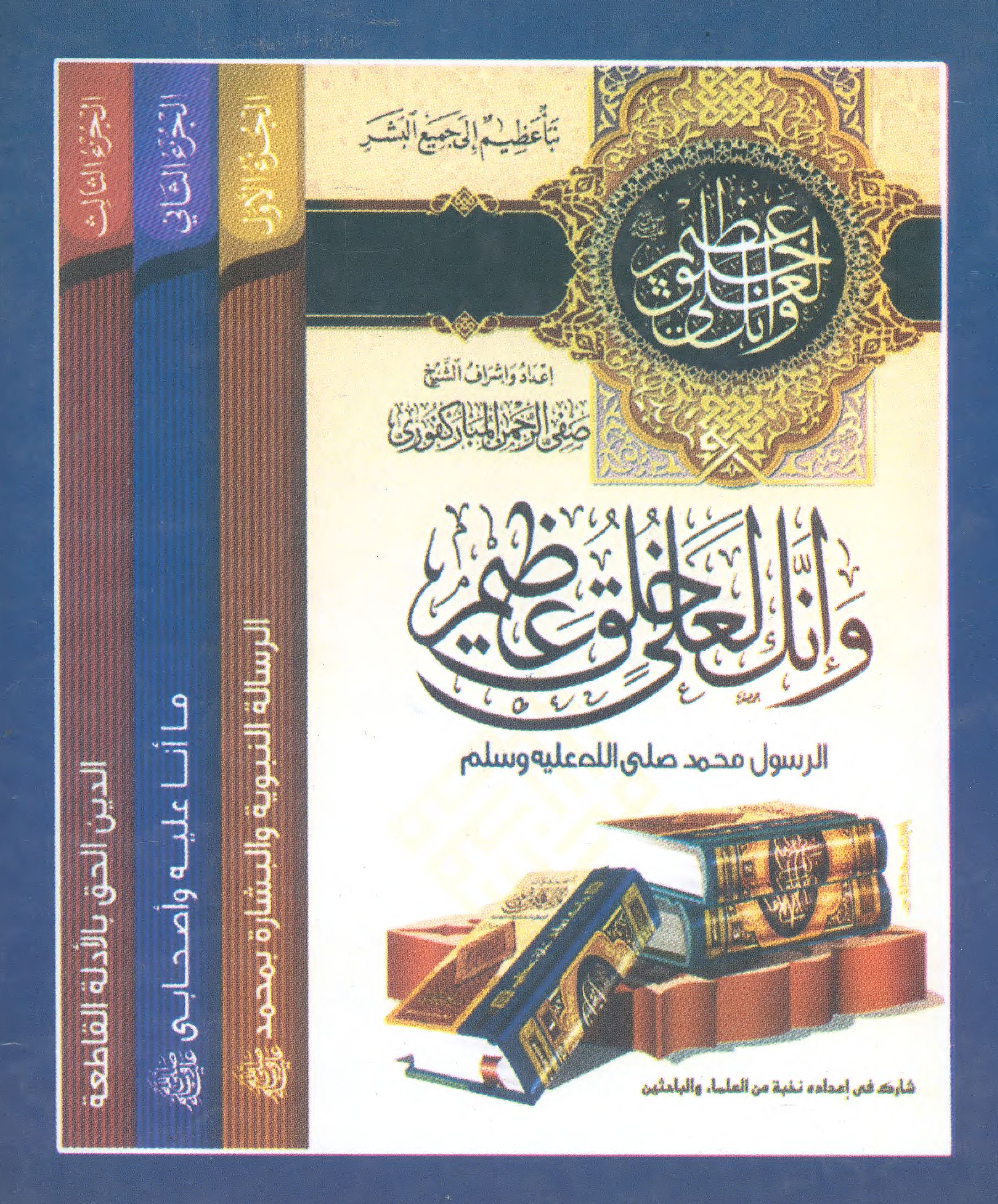
بادر أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة. نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجمع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٥ سنة من المجلة. دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

كما يمكنك المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد





الجزء الأول
الرسالة النبوية والبشارة بمحمد ﷺ
الجزء الثاني
ما أنا عليه وأصحابي ﷺ
الجزء الثالث
الدين الحق بالأدلة القاطعة
نبأ عظيم إلى جميع البشر
إعداد وإشراف الشيخ
صفي الرحمن المباركفوري
وإنك لعلى خلق عظيم
الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
شارك في إعداده نخبة من العلماء والباحثين